المدارس والجامعات

وأثرها في المحافظة على الشخصية الإسلامية

ألفه

د . سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي (الهند)

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الفردوس ،لكناؤ (الهند)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
٢٠١٧م - ١٤٣٩هـ

يطلب الكتاب من :
مكتبة الشباب العلمية ، شارع ندوة العلماء ، لكناؤ
المكتبة الندوية ، ندوة العلماء لكناؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة السلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد !

ففي مستهل شهر شعبان لعام ١٤٣٨ هـ عقد المركز الإسلامي في مدينة كولمبو ندوة علمية حول " الواقع الإسلامي والتحديات المعاصرة " في آسيا ، ببلدة سرى لانكا نظمها برنامج التواصل في وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ، بالتعاون مع المركز الإسلامي بسري لنكا .

واستجابةً للدعوة الكريمة التي تلقيتها من المركز الإسلامي سافرت إلى مدينة كولمبو قبل موعد الندوة بيوم ، وقد را فقني في هذه الرحلة الكريمة أخي العزيز الأستاذ محمد فرمان الندوي (أستاذ الأدب العربي بجامعة ندوة العلماء لكهنؤ الهند)، وشاركت الندوة ببحث موضوعي عن " المدارس والجامعات وأثرها في المحافظة على الشخصية الإسلامية" .

وكان هذا الموضوع مما قرره المسئولون عن الندوة لهذا العاجز مع الموضوعات الكثيرة الأخرى التي ألقيت أبحاثها في الندوة- فكان موضوع الساعة ، ولافتاً للأنظار في العالم

المعاصر، وقد علق عليه رئيس الندوة بكلمات ذات فاعلية وثناء على الكاتب الضعيف ، وخاصة كان سعادة الدكتور الشيخ عبد العزيز العمار مستشار معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز وزير الشئون الإسلامية للمملكة العربية السعودية ، قد تفضل بتقدير البحث وتشجيع الكاتب .

وبعد عودتي من الندوة بمدة أشار علي بعض أصدقائي أن البحث إذا نُشر في رسالة ، و وزع على الجهات المعنية بالتعليم والتربية في العالم الإسلامي والعربي لم يخل من بعض الفوائد التعليمية التاريخية ، ومع ذلك بدا لي أن أضم إلى هذا البحث ما قد كتبته في مهرجان سوق عكاظ في دورته الثامنة بالطائف ، بالمملكة العربية السعودية ، على دعوة من مركز الملك عبد الله عبد العزيز لخدمة اللغة العربية بالرياض ، ونال القبول من المستمعين الكرام ، واستحسنه حضرات المسئولين الكرام عن مهر جان سوق عكاظ بالطائف .

وبذلك أصبح هذا المجموع يصوّر رسالةً هادفةً أو كتيباً يتحلى بالطبع وتوزيعه في الجهات المعرفية مما له صلة باللغة العربية ومراكز التعليم والتربية في الهند ودورها في بناء الشخصية الإسلامية وفاعليتها في نشر الخير والمعروف في كل مكان ، ومكافحة الشر وعوامله التي تعرقل السير نحو بناء الإنسان بمعنى الكلمة ، وبالتالي بناء شخصيته التي تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي تجسيد خير أمة أخرجت للناس .

يسرني بل يسعدني أن أوفق لهذا العمل الخيري للدعوة إلى الدين الحنيف الذي أنزله الله سبحانه وتعالى عن طريق خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

الذي أرسله الله تعالى برسالته الأخيرة لبناء العالم البشري على أساس العقيدة والإيمان ، والعلم والبيان ، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى ، حتى أكون عضواً متواضعاً في كتيبة من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا .

وسوف لا أنسى ما أسدى به إليَّ أخي العزيز الدكتور محمد فرمان الندوي في ترتيب هذه الرسالة وإعداد كلمة ضافية، تُبين قصة هذه الرسالة بتفصيل ، وتبويبها بفصولها ومحتوياتها ، جزاه الله تعالى بأجزل خير على هذا الاهتمام بترتيب الكتاب وإعداده للطبع والنشر والتوزيع ، والله ولي التوفيق.

كتبها على عجل

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

١٤٣٨/١٢/٨ هـ

٢٠١٧/٨/٣١ م

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد أقام مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، ومقره الرياض بالمملكة العربية السعودية ، في دورته الثامنة مهرجان سوق عكاظ ، في سوق عكاظ التاريخية التي نالت اهتماماً كبيراً في الجاهلية الأولى لدى شعرائها وأدبائها ، ممن كانوا يؤمونها في موسم الحج ، ويتعاملون التجارة ويتبارون الشعر والأدب بعقد مجالس أدبية في سوق عكاظ التي كانت تقام سنوياً في شهر ذي القعدة قبل بدء موسم الحج .

سوق عكاظ كانت تقع – حسب ما وصفه المؤرخون والجغرافيون العرب القدامى – على مسافة ثلاثة أيام من مكة المكرمة بناحية الجنوب الشرقي ، وعلى مسافة يوم واحد من الطائف يجتمع فيها رُواد السوق والتجارة من القبائل المجاورة ، وتمرّ بها قوافل التجار والشعراء ، ويقيمون فيها للتبادل التجاري والثقافي ، وقد تمت إقامة مهرجان سوق عكاظ برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز (رحمه الله تعالى) الذي وجّه بمهمة إحيائها من جديد في موقعها القديم ، فعادت هذه السوق إلى الحياة وقامت بتقديم فعالياتها وبرامجها في كل عام .

وقد تلقى سعادة أستاذنا الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي

الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء ،و رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ، الهند) دعوة من مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، للمشاركة في برامج وفعاليات سوق عكاظ في دورته الثامنة ، وكان قد طلب منه أمين المركز العام سعادة الشيخ الدكتور عبد الله صالح الوشمي حفظه الله تعالى ، كتابة بحث لتقديمه في الندوة الخاصة في سوق عكاظ باللغة العربية في الهند ، بعنوان (مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ومدارسها) ، وكان الأستاذ الدكتور جريدي بن سليم المنصوري ، أمين سوق عكاظ في دورتها الثامنة .

واستمرت برامج وفعاليات سوق عكاظ إلى أربعة أيام متتالية في موقعها المعلوم ، ابتداءً من يوم الخميس ٢٤ / ٣ / ١٤٣٦ هـ الموافق ١٥ / ١ / ٢٠١٥ م إلى مساء يوم الأحد ٢٧ / ٣ / ١٤٣٦ هـ الموافق ١٨ / ١ / ٢٠١٥ م ، بدئت الندوة الكبرى بعنوان : دور الشباب في مواجهة الإرهاب ، صباح يوم الخميس ، وعقدت ندوة حفلة الافتتاح ليلة يوم الجمعة ، وفي اليوم التالي يوم الجمعة عقدت ندوة وأمسية شعرية من بعد صلاة العصر مساءاً ، أما يوم السبت الثالث ، فعُقدت ندوة حول شعر عمرو بن كلثوم، وأمسية شعرية مساءاً ، وكان اليوم الرابع اليوم الأخير لفعاليات سوق عكاظ خاصاً بندوة عن تطوير الموارد المائية في السعودية في الصباح ، وندوة اللغة العربية في الهند ، عصراً شاركها أربعة مندوبين من الهند حول عناوين خاصة بهم ، ممن قدموا أوراقهم كالآتي :

الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي ، مدير جامعة ندوة العلماء، الهند : (مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ومدارسها)، والدكتور محمد نعمان خان ، أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي ،

الهند : (دور النشر والمؤلفات العربية في الهند) ، والأستاذ الدكتور زبير أحمد الفاروقي ، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية سابقاً ، دلهي الهند : (الترجمة إلى العربية في الهند وأثرها في التواصل الحضاري) ، والدكتور صهيب عالم، أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي : (المخطوطات العربية ودور المكتبات الهندية في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي) .

وكانت الندوة الأخيرة حول تجارب الكتاب ، أسهم فيها الدكتور إبراهيم الحجري ، والدكتور فوزي عيسى ، والدكتور حافظ الجديدي ، والدكتور شريف الشهراني ، وذلك بإدارة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الوهابي ، فكانت مسك الختام ، وإيذاناً بنهاية فعاليات سوق عكاظ في دورتها الثامنة ، ودليلاً على ما يقوم به المسئولون عن النشاطات العلمية والأدبية والثقافة برعاية المملكة العربية السعودية وخادم الحرمين الشريفين وأولياء الأمور في المملكة العزيزة .

هذا ، وقد عقدت وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بتعاون من المركز الإسلامي بسريلانكا في مدينة كولمبو، ندوةً دوليةً ليومين في ١ – ٢ من شهر شعبان سنة ١٤٣٨هـ المصادف ٢٧ – ٢٨ عام ٢٠١٧م، وذلك حول : الواقع الإسلامي والتحديات المعاصرة ، حضرها من ١٥ دولة حوالي ٤٠ مندوباً ، من الفلبين وقطر والكويت وكمبوديا ، وكوريا الجنوبية ولبنان والهند وباكستان والبحرين وبنجلاديش وتايلاند وتركيا وجزر المالديف وسنغافورا وأفغانستان وإندونيسيا والأردن والمملكة العربية السعودية ، وقد وجهت الدعوة إلى رئيس تحرير مجلة

البعث الإسلامي الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، فحضرها ، ومعه كاتب هذه السطور . وكان من أهداف الندوة جمع كلمة المسلمين في آسيا ، ومحاربة الغلو والتطرف وترسيخ مكانة الحرمين الشريفين في نفوس المسلمين وبث روح التعاون بين الجمعيات الإسلامية في آسيا ، والتشاور مع العاملين في الحقل الإسلامي في آسيا ، وتنمية روح المواطنة والتعايش السلمي والتفاهم بين المسلمين وغيرهم .

عقدت الجلسة الافتتاحية في قصر رئيس الجمهورية في الساعة العاشرة ، وذلك تحت رئاسة فخامة مايتر بالا سريسينا رئيس جمهورية سري لانكا ، وتحت رعاية فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز العمار (مستشار معالي وزير الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية) ، بدئت الجلسة بتلاوة آي من سورة الحجرات ، وتلتها كلمة رئيس المركز الإسلامي الدكتور محمد حسين ، كما ألقى كلمة المشاركين فيها فضيلة الشيخ محمد أرشد المدني (رئيس جمعية علماء الهند) ، وركز على التعامل الحسن مع المسلمين وغير المسلمين ، ثم كانت كلمات معالي الدكتور محمد فوزي عبد الحميد (وزير الدولة للتكامل الوطني والمصالحة بجمهورية سريلانكا) ، وكلمة معالي الشيخ عبد الحليم محمد هاشم (وزير الشئون الإسلامية وخدمات البريد ، بسريلانكا) ، وكلمة معالي رئيس البرلمان السريلانكي كاروجايا سوريا ، وكلمة فخامة رئيس الجمهورية ، ذكر فيها أن دولتنا تهتم برعاية جميع الفئات والطبقات ، وتوفير الراحة والسهولة للناس وخاصة للمسلمين ، فإن دينهم يحث على الأمن والسلام ، وقال : إن سوء استعمال الأسلحة شيئ خطير ، لكن

الأخطر منه إنتاج هذه الأسلحة وتصديرها إلى مناطق مختلفة، ما لم تتوقف هذه السلسلة لا يستقر الأمن في العالم .

وألقى معالي الشيخ الدكتور عبد العزيز العمار كلمةً قال فيها : إن الإسلام دين التعايش السلمي ودين التسامح والتعاطف، يحترم الإنسانية على اختلاف ديارها وتباعد أوطانها ، فلا مجال فيه للعنف والشدة ، ولا سماح فيه للإرهاب ، وقال : من أهداف هذه الندوة أن تعم هذه الفكرة في العالم كله ، وخاصة في الدول الآسيوية ، والمملكة العربية السعودية جد حريصة على نشر رسالة الخير في أرجاء المعمورة .

عقدت خمس جلسات ، وقدم فيها ٢٥/ بحثاً ، كما جرت مداخلات ومداولات ونقاشات وتعليقات ، وكانت محاور هذه الجلسات متنوعة :

١) التكفير والغلو والإرهاب والتفجير : مظاهره وأشكاله
٢) أثر العلماء في توحيد الكلمة
٣) المراكز والجمعيات الإسلامية وأثرها في تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية ، والمحافظة على الشخصية الإسلامية
٤) المواطنة وأهميتها في مجتمع الجاليات المسلمة

كان في المحور الثالث مساهمة لسعادة أستاذنا الشيخ سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي) ببحث قيم ، اقترح عنوانه مسئولو الندوة : "الجامعات والمدارس وأثرها في المحافظة على الشخصية الإسلامية" ، وكان البحث يغطي ٢١/ صفحةً من القطع الكبير، ويتناول جميع مناحي الموضوع . وكان من أبرز عناوينها :

❖ مكانة الإنسان في الإسلام ❖ العناصر التي يتم بها بناء الإنسان بناءً متكاملاً ❖ وسائل الإسلام لإنجاح هذه العناصر ❖

العقبات التي تقف في طريق بناء الإنسان ❖ ملامح عملية تثبت وجود هذه العقبات ❖ الأخطار التي تنجم عن تعريض الإنسان لهذه العبقات دون حل لها ❖ سبيل العلاج ❖ دور الإسلام في تكوين الشخصية الإسلامية ❖ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وكتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، نموذجاً ❖ تاريخ المدارس الإسلامية في الهند ❖ مناهج التعليم والتربية وتأثيرها في تكوين المناخ الإسلامي ❖ دور مراكز التعليم والتربية في بناء الشخصية ❖ أيسر طريق للمحافظة على الشخصية الإسلامية .

وتحدثت أنا أيضا في هذه الجلسة عن " الشخصية الإسلامية ودورها في معالجة التحديات المعاصرة " .[١]

وعقدت الجلسة الختامية ،وتلخصت عن توصيات وقرارات، وهي على ما يأتي:

(١) رفع تقديم الشكر إلى الملك سلمان بن عبد العزيز وولي العهد وولي ولي العهد ووزير الشئون الإسلامية بالمملكة (٢) السعي إلى نبذ الاختلاف بالتركيز على جمع الكلمة (٣) بيان مذهب السنة والجماعة لدى العامة والخاصة (٤) نبذ الغلو والتكفير (٥) التركيز علي اقامة العدل (٦) إعداد العلماء والدعاة (٧) تأسيس معاهد لتحفيظ القرآن وتعليمه (٨) جائزة خادم الحرمين الشريفين لخدمة القرآن الكريم والسنة النبوية لدول آسيا (٩) دعم المؤسسات مادياً ومعنوياً (١٠) العمل على إقامة دورات إسلامية (١١) إرشاد الأجيال إلى جهة صحيحة

---

[١] . قد نشر هذا البحث في مجلة البعث الإسلامي ، العدد الثالث ، المجلد الثالث والستون ، ذو القعدة سنة ١٤٣٨ هـ المصادف يوليو ٢٠١٧ م .

(١٢) التأكيد على المجتمعات الإسلامية بالمشاركة الفاعلة في أمور الناس (١٣) دعم الحوار بين المسلمين وغيرهم (١٤) تأسيس مجلس خاص لتفعيل هذه الأمور في كولمبو .

وكان من أبرز المشاركين في هذه الندوة الشيخ صالح بن سليمان الوهيبي من السعودية والشيخ علي الحلبي من الأردن والشيخ عماد الحوت من لبنان ، والأستاذ محمد بن يوسف من كمبوديا ، والدكتور محمد السريع من المملكة ، والدكتور سامي سلطان العيسى والدكتور خليفة جاسم من قطر ، والدكتور عبد الغفار عزيز من باكستان ، والدكتور جسيم الدين الندوي من بنغلاديش ، والدكتور محمد شميم علي سعيد من المالديف ، وعدد وجيه من علماء المملكة ، وكلهم بقيادة معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله العمار حفظه الله ، وعلماء جمهورية سري لانكا ، وانعقدت جميع هذه الفعاليات تحت إشراف الدكتور زروق باكير (منسق الندوة ومضيفها في كولمبو ومدير المركز الإسلامي بسريلانكا)، وقد أقيمت مآدب شهية من قبل رئيس البرلمان السريلانكي ورئيس المركز الإسلامي بسريلانكا .

ومعالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله العمار شخصية علمية ودعوية، له مؤلفات قيمة وجهود مشكورة في حقل العلم والدعوة ، وهو مستشار معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز (وزير الشئون الإسلامية) ، وخلال الندوة وجه دعوة إلى ممثل ندوة العلماء سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي للحضور إلى مكتبه ، وأبدى انطباعات خاصة عن ندوة العلماء ، وتحدث عن مدى علاقته وزيارته لندوة العلماء ، وقال : فكرة الندوة ليست بعيدة عن ندوة العلماء ، وهي جمع كلمة المسلمين ، ولا شك أن

ندوة العلماء جمعت بين القواسم المشتركة ، وقال : إن المذاهب الفقهية الأربعة ليست مدارس أربعاً ، بل هي مثل كتاب واحد ، له أربعة أبواب ، فلا حاجة فيها إلى التشاجر والاختلاف ، وتحدث عن العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي أنه كان مربياً ومعلماً ، ونحن تتلمذنا عليه ، واستفدنا منه كثيراً ، وقد زرت الهند مرات ، وخاصة في المهرجان التعليمي لندوة العلماء عام ١٩٧٥م ، وقال : كنا في الشباب عملاء لمجلة البعث الإسلامي ، لتوسعة نطاقها ، لأن شيخنا عبد الرحمن الدوسري له وكالة للمجلة ، فكنا نساهم فيها ، وقد جاوزت المجلة الثانية والستين من عمرها . فلله الحمد والشكر .

الجدير بالذكر أن جميع سكان سري لانكا عشرون مليوناً ، سبعون في المأة منهم من البوذيين ، واثنا عشر في المأة من الهندوس ، والمسلمون تسعة في المأة ، كما أن الكاثوليك الرومان ستة في المأة ، والمسيحيون واحد في المأة ، وتوجد في سري لانكا مدارس كثيرة ، منها الكلية العربية الحقانية في مدينة كندي ، وجامع الفلاح في شرق سري لانكا ، وفي عاصمة سري لانكا مدينة العلم ومدرسة أبي هريرة والمدرسة الإحسانية ، ومن أشهر المدارس الجامعة النظيمية الإسلامية ، والكلية الغفورية العربية كما أن هناك مسجداً قديماً في العاصمة ، وهو معروف بالمسجد الأحمر وهو أكثر ازدحاماً وأقدم وأجمل ، يصلي فيه يوم الجمعة ١٢ ألف مصل ، وللمسجد ستة أداور ، أنشئ في ١٩٠٨م ، بناه التجار المسلمون من تامل نادو ، ولونه لون الرمان الأحمر والأبيض . ومسجد آخر في العاصمة يعرف بمسجد جماعة الدعوة والتبليغ ، زاره سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي منذ أكثر من ثلاثين سنة .

قد انتهت هذه الندوة بكل نجاح بفضل الله وتوفيقه ، ونرجو أن الله سيجعل لها نتائج حسنة على الصعيد العالمي . وستترك هذه الندوة آثاراً طيبةً على أوسع نطاق . والله ولي التوفيق والسداد .

وكما علمنا أن هناك بحثين قام بإعدادهما أستاذنا الجليل حفظه الله لهاتين الندوتين ، وكلاهما يشتملان على مواد علمية قيمة ، فكانت الحاجة ماسة إلى أن يدونا في صورة كتاب ، وقد تم ذلك بحمد الله و فضله .

ندعو الله تعالى أن يبارك في عمر مؤلف الكتاب ، حتى نستفيد من مثل هذه التحف العلمية النادرة . والله من وراء القصد ، ويهدي السبيل .

كتبه

١٤٣٨/٩/٢٦هـ — محمد فرمان الندوي

٢٠١٧/٦/٢٢م — جامعة ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند)

الباب الأول

الإسلام وبناء الإنسان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

مكانة الإنسان في الإسلام :

إذا كان الإنسان قبل مجيئ الإسلام يعيش واقعاً مؤلماً من الحياة ، واقعاً كان قد تعرى فيه عن لباس الإنسانية ، وانطلق نحو بهيمية لا يوجد لها نظير في التاريخ ، فإن الإسلام تناوله بالتربية الحكيمة الدقيقة وألبسه لباس الاحتشام والزينة، وأوقفه تحت ظل الأخوة الإسلامية العالمية ، التي شملت المجتمعات كلها ، بالحب والثقة والرحمة والعطف ، وذلك فإن أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم هو جمع القلوب على نقطة الإيمان الواحدة وتوحيد شمل الإنسان المتشتت باسم العقيدة .

تولى الإسلام بناء حياة إنسانية كريمة ، تسود فيها العقيدة ويغطيها الإيمان ، وتحكمها الشريعة الإلهية وتنميها الأعمال الصالحة ، وتراعيها الأخلاق الفاضلة ، الأمر الذي رفع مكانة الإنسان إلى قمة عالية من السعادة والكرامة ، حيث عاش في طهر وعفاف وعلم وإيمان وعقيدة وشريعة وأخلاق وفضيلة وإيثار وتضحية وسلوك وسيرة ، ولذلك فإن المسلمين إنما كانوا خير مثال للحياة الإنسانية الفاضلة ، وهم الذين منحوا

الإنسان الشعور بقيمته الغالية ودوره الرائع في تغليب الخير على الشر والانتصار لحق والصلاح وإيجاد الاتزان الكامل في جميع الأمور وغرس جذور الإحسان والبر والطاعة في النفوس ، وتكوين مجتمع رشيد عادل ، وبالتالي تأسيس حضارة إسلامية ، يزدهر فيها العدل والإيمان والطاعة واليقين .

والواقع أن الإسلام قد أسدى إلى الإنسان بالنصح الكامل وأخرجه من درك الشقاء والجاهلية إلى رحاب الإيمان والسعادة ، فقوي بعد الضعف وعز بعد الذل ، وسعد بعد الشقاء ، وارتفع من الحضيض إلى ساحة العز والسمو ، وكان إنساناً له مكانة عالية كريمة لا فضل فيها لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، وأعلن الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة في كتابه الكريم ، فقال: يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (الحجرات : ١٣) .

فلم يكن هناك مقياس للفضيلة والكرامة إلا التقوى ، فكل من تمسك بهذا المقياس ونفذه في حياته فهو الأكرم وهو الأعز ، وهو الذي يستحق أن ينال كل كرامة ويتبوأ المنصب العالي في الحياة ، صغيراً كان أو كبيراً ، ذكراً كان أو أنثى ، عبداً كان أو سيداً ، أستاذاً كان أو تلميذاً ، أيا كان ذلك الشخص ، ولكنه إذا كان أتقى لله فهو على منزلة عالية لا يستطيع أن يدركها ، من لم يتحل بروح التقوى والورع ، ولم يوفق إلى الاتصال بالله كعبد خاشع يخافه ويطيعه ، وإن هذه التقوى لها شأن كبير في إسعاد الحياة وتوجيه صاحبها إلى غاية العبادة التي خلق من أجلها الإنس والجن ، ولها دور رائع في

إضفاء لباس الهناء والطهر والعفاف على الحياة ، وتحقيق نعم العز والهدوء والأمن والسلام في الدين والدنيا .

العناصر التي يتم بها بناء الإنسان بناءاً متكاملاً :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله سبحانه وتعالى رحمةً للعالمين تناول الأمة التي لم تكن تعرف الحياة معنى وغايةً ، تناولها بتلاوة آيات الله عز وجل عليهم وبالتزكية الشاملة ، وبالتعليم لكتاب الله وحكمة الدين ، والهداية من الضلال إلى الهدى، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذه هي في الحقيقة الركائز الأصلية الأساسية التي تقوم عليها دعائم التربية الإسلامية ، ومنها تتكون العناصر التي يتم بها بناء الإنسان بناءاً متكاملاً من جميع النواحي الروحية والعقلية والجسمية .

أما بناء الإنسان الروحي فلا يتم إلا بتغذية الروح ، بزاد العقيدة والإيمان والتقوى ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يغذي أرواح الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن ويخضعهم أمام الله تعالى خمس مرات في اليوم عن طريق الصلوات ، ويربيهم على العبودية والطاعة ، ويطهر قلوبهم عن أدران الشرك والوثنية التي عاشوا فيها إلى مدة طويلة ، فكانت النتيجة أنهم برزوا على مسرح العالم بروح زكية طيبة ، فيها شيئ كثير من الإخلاص والإيثار والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، عملاً بما قد سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول : الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ! قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وكانوا يؤثرون غيرهم على أنفسهم في جميع شئون الحياة ولو كان بهم خصاصة ، تطبيقاً لقول الله عز وجل (يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وهناك أمثلة

كثيرة للتزكية الروحية التي يهتم بها الإسلام ، ويركز عليها في مراحل التربية التي يتناول بها الإنسان والفرد المسلم .

وكذلك بناؤه العقلي إنما يتم بتلاوة آيات الله وتوجيه الحكمة إلى الإنسان ، ولذلك فإن الإسلام أ ما حرص على توفير فرص التعليم للمسلم ، وحثه على تعلم العلم ، ذلك لأن العلم هو الذي يغذي العقل ويربيه ويجعله عقلاً ناضجاً يتلقى الحكم والتعاليم التي يتضمنها المصادر الأساسية للإسلام ، من هناك أنزل الإسلام موضوع العلم منزلة عالية جداً وأضفى عليه لوناً ثابتاً من الطهر والقدسية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له كل ما في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء وحتى النملة في جحرها ، وإن فضل العالم على العابد كفضل على أدناكم ، ولو لا أن بناء الإنسان العقلي كان من أهم المهمات لما قرن الله تعالى العلم وموجبات العلم التي تتولى تربية العقل مع النبوة ، ولما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالقراءة في أول وحي أنزله إليه : (ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق : ١- ٥) .

لذلك فإن العلم إنما كان من أهم عناصر التكوين العقلي في الإنسان ، وقد قام بدور كبير جداً في مجال بناء الإنسان العقلي .

أما بناء الإنسان الجسمي فلا يقل في الأهمية من بنائه الروحي والعقلي ، ذلك أن الإنسان إذا كان ناقص البنية في جسمه لا يستطيع أن يقوم بواجباته في الحياة والمجتمع ، وأن

يقوم بوظيفته التي خلق من أجلها ، وهي تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى في الحياة أفراداً وجماعات ، ولم يكن حث الإسلام المرء على الرماية والفروسية إلا تحقيقاً لهذا البناء الجسمي لدى الإنسان ، ولقد اعتنى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمؤمن القوي في جسمه ، وقال : " المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير " ، وكذلك اهتمام النبي عليه الصلاة والسلام بالطب الجسماني وبحث العلاج عن الأمراض إنما كان لتحقيق بناء الإنسان الجسمي ، الذي يعتبر نقطة مهمة في مجال التربية الإسلامية ، ولقد رأينا العلماء والدعاة من أهل التربية والإصلاح أنهم لا يكتفون بتربية الناس في المجال الروحي والعقلي ، بل يركزون عنايتهم على تربيتهم الجسمية كذلك ، تطبيقاً لمبدء : العقل السليم في الجسم السليم .

فهذه هي العناصر التي يتم بها بناء الإنسان بناءاً متكاملاً في المجالات الثلاثة التي أشرنا إليها .

وسائل الإسلام لإنجاح هذه العناصر :

إن وسائل الإسلام لإنجاح هذه العناصر التي سبقت الإشارة إليها في الواقع هو ذلك النظام التربوي الذي يضعه الإسلام في صورة المساجد والمدارس ومراكز الدعوة والتربية ، وحركة التأليف والنشر وحلقات الدروس وتنظيم وسائل الإعلام لمصالح التربية والدعوة والتعليم ، وكذلك نظام العبادات الذي يتميز به الدين الإسلامي ، والذي يحتوي على مراعاة دقيقة لجميع أنواع التربية التي يكتمل بها بناء الإنسان في جميع المجالات الحيوية .

كذلك التركيز على ناحية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصفة خاصة إيذان بأن ذلك من وسائل الإسلام المهمة في

مجال التربية العامة ، وبأن هذه الأمة إنما أخرجت لكي تقوم بهذه الوسيلة التربوية ويستخدمها في أداء وظيفتها التي نيطت بها (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران : ١١٠).

هذه الوسائل كلها تساعد كل المساعدة في إنجاح عناصر البناء للإنسان وقد ظهرت اليوم وسائل كثيرة حديثة لتحقيق هذا الغرض أوجدها المسلمون في ضوء الكتاب والسنة وتعاليم الإسلام من الندوات والمؤتمرات الهادفة ، وكذلك الجولات الدعوية والأنشطة التنظيمية الأخرى ، مما لها أثر عميق في توظيف هذه العناصر وتفجير طاقاتها في ساحة البناء والتعمير .

العقبات التي تقف في طريق بناء الإنسان :

إن العقبات التي تسد الطريق في وجه هذا الغرض العالي وتقف في سبيل هذا البناء المثالي للإنسان الكامل الذي يتوخاه الإسلام من وراء التربية الحكيمة التي يتناول بها الإنسان ويصوغه في قالب الكمال والفضل ، إن هذه العقبات كثيرة ، ويحسن بنا أن نشير إشارة عابرة إلى عدد منها :

١ – من أخطر العقبات ازدواجية المجتمع ، ونعني بها وجود أنواع وأنماط من الناس فيه ممن تختلف أخلاقياتهم وعقائدهم وأفكارهم وفلسفاتهم ونظراتهم نحو الحياة والإنسان والكون ، فيشكلون بذلك عقبةً كأداء في سبيل النهوض بالإنسان إلى طريق البناء الأفضل ، وهذه لا شك من أخطر ما يواجهه الدعاة إلى الله والقائمون ببناء الإنسان في المجتمع الذي يعيشون فيه .

٢ – وجود دعاة السوء الظاهرون أحياناً ، والمتسترون أحياناً كثيرة ، إذ أن معنى وجود هؤلاء الناس في أي مجتمع أنهم

يسوقونه نحو الهدم والدمار ، ويقفون كعقبة شديدة في سبيل بناء الإنسان على أسس من الفضيلة والأخلاق والعقيدة السليمة والإيمان الخالص ولعل دعاة السوء الذين يتقنعون بقناع الخير والمعروف هم أخطر بكثير من الدعاة الظاهرين إلى الانحلال والسوء والأفكار الفاسدة الهدامة .

٣ – العناية الزائدة باكتساب حظوظ الدنيا وخيراتها والتركيز عليها في معظم الأحوال ، دون أن يفكر الإنسان فيما يؤول إليه ما بعد الموت ، ولذلك فإن الذين يركنون إلى هذه الناحية ركوناً تاماً إنما يسببون أضراراً بالغة لأنفسهم أولاً وللمجتمع الذي يعيشون فيه ثانياً ، وهذه الظاهرة متوافرة في مجتمعاتنا اليوم ، وهي لا شك عقبة كبيرة في هذا السبيل ، وهي التي تقف في طريق بناء الإنسان الأفضل .

٤ – وجود أناس متشائمين في المجتمع ممن يثبطون همم القائمين على هذا العمل ويبعثون فيهم اليأس ويحولون دون الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والعودة إلى شرعة الدين والعمل بتعاليم الإسلام ، ظانين أن الإسلام قد ولى دوره ، وانقضى شأنه ، فلا يصلح الآن للبناء والتعمير ، ولا يجدي نفعاً إنسان هذا العصر في أي شأن من الشئون ، ولا شك فإن أمثال هؤلاء الناس من العقبات الشديدة التي تقف في طريق بناء الإنسان على خلال كريمة فاضلة.

٥ – كما أن فقدان القدوة الصالحة أو ندرتها في المجتمع الإسلامي يشكل عقبةً في طريق بناء الإنسان ، وقد عم هذا النقص في حياة الناس حتى في حياة الدعاة والقادة ممن يعتبرون قدوة في المجتمعات .

٦ – الجهل المطبق بحقائق الدين الإسلامي وتعاليمه

الخلقية والعقدية والإيمانية ، رغم أن الإنسان يعتبر نفسه من أتباع ذلك الدين المخلصين ، ويزعم أنه يمثل الدين تمثيلاً واقعاً صحيحاً ، وهذا الواقع ملموس في مجتمعات المسلمين اليوم الذين ورثوا الدين أباً عن جد وأدركوه بطريق تلقائي من غير عناء ، ولا شك فإن المسلم في مثل هذه المجتمعات يتبنى الدين قبل نشوئه في رحم الأم حتى موته ، وإن وجود وعموم هذا الجهل الشائن بحقائق الدين لمن العقبات الكئودة التي تسد الطريق نحو بناء الإنسان الأفضل .

ملامح عملية تثبت وجود هذه العقبات :

إن العاملين في مجال الدعوة إلى الله وفي طريق البناء للإنسان يحتازون هذه العقبات كلها ، ويجوبونها من غير واسطة ، ذاك أن ازدواجية المجتمع ظاهرة ملموسة في المجتمعات والبلدان التي يسكنها شعوب مختلطة ذات عادات وتقاليد وديانات متعددة ، وإن هذه الشعوب بأفكارها ونظراتها المختلفة في واقع الحياة تتولى إفساد النظام الاجتماعي الذي يحدب عليه الإسلام ويدعو إليه الإنسان لكي يبني حياته على ضوء تعاليمه الخلقية والعقائدية والإيمانية في جميع المجالات الفردية والجماعية ونستطيع أن نرى نموذج هذه الازدواجية في البلدان والأقاليم التي يعيش فيها شعوب كثيرة يختلف بعضها عن بعض في العادات والديانات والتقاليد والنظرات والأفكار والحضارات وذلك كالهند مثلاً .

وكذلك شأن دعاة السوء ظاهر ملموس في مثل هذه المجتمعات التي تتمتع بالحرية الكاملة في إبداء الأفكار والآراء، وفي أمور الدعوة والممارسات العملية ، ويمكن أن نشاهد مثل هذا الوضع في الدول العلمانية التي تسمح لكل

شخص بأن يدعو الناس إلى ما شاء من ديانة أو فكرة أو فلسفة أو نظرة ، وهناك ينتهز دعاة السوء والانحلال فرصة الاتصال بالجماهير ودعوتهم إلى ما أرادوا من عقائد سيئة ، ونظريات باطلة ، وأفكار هدامة ، وهذه الظاهرة تتوفر في البلدان التي تنادي بالديمو قراطية وتؤسس عليها حكمها وسياستها .

ولكن المجتمعات الإسلامية التي يوجد فيها عدد كبير من المسلمين ممن يعتنون بإحراز حظوظ الدنيا ويبذلون في سبيلها كثيراً من جهودهم وإمكانياتهم ، فلا شك أن هذه الحقيقة المرة موجودة في المجتمعات الإسلامية الخالصة أيضاً ، ولا تزال تتقوى ملامح هذه الظاهرة في المسلمين رغم وجود الدعاة فيهم وتوافر فرص العمل بتعاليم الإسلام لديهم، وقد رأينا أن إقبال المسلمين على الدنيا المادية كبير ، وقد يؤثرون الدنيا على الدين، ويؤولون ذلك بالضرورة أو مراعاة المصالح أو ما أشبه ذلك من تأويلات .

ونستطيع أن نقدر مدى التشاؤم واليأس الذي يصيب المسلمين في عامة أحوال الدعوة والعودة إلى الدين ، فقد كثر عددهم في المجتمعات الإسلامية ، وهم يزعمون أن المجهودات التي تبذل في هذا السبيل لا تغني عن الدنيا شيئاً ، ذلك لأن الدين كما يظنون يكون قد فقد صلاحية التأثير في الأوضاع الحاضرة ، فهؤلاء الناس لا يرون مبرراً للقيام بأي دعوة يقوم بها الإنسان نحو إصلاح الأوضاع الفاسدة ، فضلاً عن التركيز على بناء الإنسان ، ولذلك فإنهم يثبطون همم العاملين في هذا المجال، وهذا ما نشاهده في مجتمعاتنا اليوم بوجه عام .

أما فقدان القدوة الصالحة أو ندرتها في المجتمعات التي نعيش فيها فواضح يستطيع أن يلمسه كل شخص بالبنان ،

والواقع أن أزمة القدوة الصالحة اليوم لمن أخطر الأزمات التي يواجهها المسلمون على جميع المستويات ، وهي تهدد بالخطر الكبير وهو خطر الإخفاق والفشل والعاملين في مجال الدعوة والفكر الإسلامي .

وكذلك الجهل بحقائق الدين وعقائده يعم في أفراد المجتمع الإسلامي ، ومما يشاهد أن المرء إنما يولد في بيت إسلامي ويدرك الدين بطريق الوراثة دون أن يعرف أهميته وماله من تاريخ وتفصيل ، فينشأ مسلماً بالإرث ويموت مسلماً بطريق الوراثة كذلك ، كأنه قد تبنى الدين وعقائده وأعماله وأخلاقه في ضوء الكتاب والسنة .

الأخطار التي تنجم عن تعريض الإنسان لهذه العقبات دون حل لها :

ولا شك فإن الإنسان إذا ترك في خضم هذه العقبات وأهمل شأنه في ذلك ، فإنه يتعرض لأخطار تهدد دينه وأخلاقه وعقائده ، وتجعله نهبةً للأغراض والأعراض ، وأعتقد أن هذه الأخطار لا تنحصر في ذاته وفي دائرته الشخصية بل تتعداه إلى أفراد الأمة الآخرين، وإنني أرى أن من بين هذه الأخطار ما يلي :

١ – الردة ، وهي من أخطر الأخطار وسوف لا يتجنبها إلا المتريث الذي يفكر بالهدوء ، ويهتدي إلى عواقب الأمور بالتأمل فيما يحيط به من أحوال وأوضاع ، ولكن الذي يترقب النتائج المرجوة في أقل وقت وبأقصر طريق فإنه يصاب بالردة في مثل هذه الأوضاع اعتقاداً منه بأن دينه الذي كان يدين به ، قد انقضى شأنه ، و هو لم يعد صالحاً لإسعاف الإنسان في حياته ومصالحه ، ولا قادراً على انتشاله من فم الأخطار التي تحدق به، فهو إما إهمالاً لشأن الدين وتقليلاً لقيمته وانتقاماً من اتباعه

يخرج عن ذلك الدين أو لأنه يعتقد أجزم الاعتقاد بأنه دين قضى وطره ، وليس له أن يعيش بين الناس ويفيدهم في أمور الحياة.

٢ – ذوبان الشخصية ، فإن من يتعرض للعقبات التي تحدثنا عنها والتي تقف في طريق بناء الإنسان إذا لم يجد لهما حلاً فإنه يذوب فيها بحيث لا تبقى له تلك الشخصية الإسلامية التي يتمثل بها في الحياة والمجتمع ، والتي تعتبر علامة القوة ورمز الاعتزاز والصمود أمام الإغراءات المادية والفكرية والاجتماعية التي تحيط به من جميع النواحي .

٣ – اليأس والتشاؤم ، وذلك بقاء الإنسان في مواجهة الخطر لمدة يبعث في نفسه اليأس من وجود عوامل الإنقاذ ، والتشاؤم من ذلك الدين الذي يدين به ويتمسك بذيله ، وأعتقد أن اليأس والتشاؤم من أعظم عوامل الهدم والتدمير ، وأن الإنسان لا يفقد قوته وصبره ولا يحرم عزمه ومثابرته لأي شيئ أكثر من التشاؤم واليأس ، ولعل قطع الأمل عن مساعدة الدين وإمداده في قضية الحياة يؤديه إلى اعتناق أسباب تتولى السعادة له وتنقذه من الحرمان والتشاؤم إلى ما يجد فيه العطاء من كل نوع .

٤ – الأدواء الخلقية والاجتماعية ، إذ أن التعرض للعقبات التي لا يدرك لها حل يجرُّ إلى نوع من الشقاء ويحبب إليه رذائل الأمور وأمراض الأخلاق ، وقد يكون ذلك من غير أن يشعر به الإنسان ، ولكنه في الواقع يتعرض لمثل هذه الأخطار التي تقطع صلته عن الدين وتربطه بما لا يليق به من أعمال وممارسات سيئة .

هذه بعض الأخطار التي تنجم عما إذا تعرض الإنسان للعقبات التي تقف في طريق بناء الإنسان ولم يبحث لها عن حل .

بعض الإشارات للانحراف الفكري :

لو لا أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان جامعاً بين العقل والفكر لما تميز عن غيره من الخلق ، ولعل التفكير نتيجة لإعمال العقل في أمر مجهول للتوصل إلى معلوميته ، ولذلك فإن مادة العقل يحويها كتاب الله تعالى بصيغها المتعددة في كثير من الآيات التي يدعو فيها إلى التعقل لآيات الله تعالى المنبثة في هذا الكون ، وكذلك التفكير في آيات الله تعالى مما يدعو إليه العقل المؤمن ، فهما يلتقيان في الوقوف على قدرة الله تعالى في العالم البشري والتدبر في عاقبة الأمور .

إلا أن العقل البشري له نهاية فيقف عند حد قياسي ، ويرى أنه ليس من المعقول فوق ما وصل إليه ، ولكن الفكر لا نهاية له ، وهو يشق طريقه إلى آخر ما يمكن من الوجود ، فمثلاً يندهش العقل إذا عرض عليه أن ألف سنة من أيام الإنسان في الدنيا قد لا يساوي يوماً واحداً عند الله تعالى ، ولكن الفكر الإيماني يقبل ذلك من غير تأخير أو تردد ، وكذلك كون البحر أو البحور مداداً لكلمات الله تعالى والأشجار أقلاماً لها ، فسوف يجف هذا المداد الهائل وكلمات الله تعالى لا تنتهي عن كتابتها ، وتبقى غير مكتوبة لكون المداد والقلم قد نفد وجودهما ، مع استمرارية البقاء لكلمات الله تعالى .

فإذا رأينا من خلال هذه النظرة وجدنا أن الفكر رغم استمراريته في معرفة الحق أو الباطل يمتد فيخدم الكون والحياة أو ينحرف فيهدم بناء الحق والمعرفة ويفتح الطريق نحو التمرد والعصيان (أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَ لِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ

فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ) الرعد (١٧) .

ولا ريب في أن العالم بجميع ما فيه من علوم وآليات وأسباب وعلاقات تتغير في أساليبها وطرائق استخدامها ، وتتطور في أشكالها وتراكيبها الظاهرة ، ولكن الواقع الذي يرتبط بالعقيدة والأسس الدينية وبما له علاقة بالفكر السليم ، والإيمان بالغيب ، إنما هو قاعدة صلبة لصرح هذا الدين الخالد الدائم وهي لا تقبل أي تغيير أو تطوير ، مهما تطورت الأوضاع وبلغت الحضارات والعلوم الحديثة مبلغاً عالياً من المنجزات العلمية والتقنية ، وفي مجال الصناعات والمدنيات الإنسانية شرقاً وغرباً .

ومن خلال هذه التطورات انحرفت أفكار الناس عن مسارها الأصيل وظلوا يعيشون أوهاماً ليس لها قرار ، ولعل الله سبحانه وجَّه إلى أصحاب الاضطراب الفكري ممن يحيدون عن الطريق الواضح المبين ، والذين تندثر أفكارهم في حقيقة الخلق والأمر ويعيشون اضطراباً عقلياً وتعارضاً فكرياً ، ولا يستقرون على جادة الحق الواقع ، وجَّه الله سبحانه إليهم أسئلة عسى أن يستعملوا العقل ويعودوا إلى الفكر السليم .

انظروا كيف يتحدث الله سبحانه ويسائل هؤلآء الذين اضطربت أفكارهم : (أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا أَإِلَـهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ، أَمَّن جَعَلَ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَـهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَّعَ ٱللَّهِ

قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ، أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ أَإِلَـه مَّعَ ٱللَّهِ تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ أَإِلَـه مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .

هكذا مثّل الله تعالى لأولئك الذين يعيشون أفكاراً مضطربة وبلابل فكرية ، وطلب منهم أن يكونوا وحدة إيمانية في التفكير في آيات الله تعالى وقدراته ولا يقعوا فريسة للأهواء والمراوغات الشيطانية في إبعاد الناس عن الجادة المستقيمة .

إذا رجعنا قليلاً إلى الوراء فسرعان ما نجد منابع الانحرافات الفكرية يوم ذاك ، ومزايغ التفكير السليم في ذلك العصر ، ويتيسر لنا التوصل إلى معرفة أسباب الانحراف الفكري من غير صعوبة :

أولاً : إثارة الشكوك في النفوس بواسطة الاستشراق الذي اخترعه الغرب لتزييف الشريعة الإسلامية ومصادرها : الكتاب والسنة بأخص وجه .

ثانياً : الاستعمار الأجنبي الوارد من وراء البحار للاحتلال في أراضي العالم الإسلامي والعالم الشرقي ، ذلك الداء العضال الذي أصاب أهل هذين العالمين وزلزل قواهم الفكرية .

والأمر الثالث الذي كان سبباً للانحراف الفكري في تلك الفترة المنصرمة إنما هو تلاشي التعليم وفقدان وسائله التي تساعد على بناء الشخصية واستقلالية الفكر ، لكي لايكون الإنسان تابعاً لأفكار الآخرين المنحرفة .

هذه بعض الإشارات للانحراف الفكري والشذوذ العقلي فيما مضى من تاريخ المسلمين قديماً ، أما العصر الحاضر ، عصر الاستقلال وعودة الاستعمار إلى مقاره من غير رجعة فلا

شك أن الناس وقعوا فيه في شرك الإعجاب بالنفس وظنوا أن الجو قد خلا لهم لبناء ما تهدّم والعودة إلى حرية كاملة من الناحيتين الحضارية المادية والفكر الشخصي والجماعي ، وهناك نشأت أنواع وألوان من الفكر الحر والرأي المستقل فتجمعت الأفكار المضادة في المجتمعات البشرية وتزاحمت ، في كل قضية ومشكلة ، حتى القضايا والمشكلات الدينية التي لامجال فيها للانحرافات الفكرية ، من أي نوع كانت .

لما نزلت آية آل عمران : (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَايَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) (آل عمران : ١٩٠)

لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وخرج من الفراش ، وقال لها: (أتأذن لي أتعبَّد ربي) ثم قام يبكي ويبكي حتى دخل عليه بلال رضي الله عنه فآذنه لصلاة الفجر ، فلما رآه يبكي ، فقال يا رسول الله ! تبكي وقد غفر الله كل ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، وما لي لا أبكي وقد نزل علي الليلة (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَايَاتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار)(آل عمران: ١٩٠)

أليس هذا دليلاً على التفكر السليم الذي لا يترك المرء يهدأ للحظة واحدة ، بل لا يزال يفكر في آيات الكون والحياة

والإنسان ، ويشغله الفكر من غير انقطاع وبكامل الاستمرارية ليل نهار ، صباح مساء .

ولا ريب أن الانحرافات الفكرية المعاصرة جعلت أمة الإسلام التي هي أمة واحدة أمماً موزعة بين فرق وجماعات وفئات ، وكل واحدة منها تستقل بالرأي والفكر ، والدعوة والأسلوب ، وتقيم الحجة على أصالتها وانسجامها مع الفكر الأصيل ، الواقع الذي أدّى إلى انحرافات وانقسامات في الفكر والرأي ، وحدث نوع من التنازعات والاتهامات بعضها ببعض .

سبيل العلاج ! :

إن سبيل العلاج للخروج من هذه العقبات هو نفس ذلك السبيل الذي أرشدنا إليه الإسلام والذي اتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم لدى كل عقبة تعرضت له في سبيل بناء الإنسان ، ولقد كان الإسلام بكامله وشريعته هو العلاج الوحيد لكل مشكلة ، ولا شك فإن أمامنا ذلك العلاج العظيم الناجع الكامل الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه لموجود بكل مواصفاته وأجزائه وتفاصيله ، ومما لا شك فيه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وضع مواهبه وطاقاته كلها في هذا السبيل ، وقام ببناء الإنسان في ضوء شريعة الإسلام أحسن قيام ، حتى كان ذلك دليلاً على أن الإسلام إنما هو دين الإنسان وأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

إننا في طريقنا نحو بناء الإنسان في ضوء الإسلام لفي حاجة ماسة إلى العودة إلى الطريق التي اختارها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المهمة العظيمة ، ففي ذلك نجد التدابير

المطلوبة لهذا العمل العظيم ، وفيه ندرك العلاج لكل ما نواجهه من عقبات وعراقيل في هذا الطريق ، وفيه كل ما نحتاج إليه من مواصفات العلاج لكل داء ينخر كيان الأمة أو جسم الإنسان .

دور الإسلام في تكوين الشخصية الإسلامية :

ولم يطلع التاريخ البشري عبر عصوره وأدواره على نظرة دينية أو فلسفة اجتماعية وفكرة حضارية ، تتركز توجيهاتها على بناء الشخصية المتكاملة والسلوكيات المثالية ، مثل ما وفق إليه دين الإسلام الذي أول ما لفت إليه العناية الفائقة ، هو العلم الذي يكتسبه الإنسان باسم ربه تبارك وتعالى ، لكي يعرف نفسه ومكانته ووظيفته في الحياة في ضوء التوجيهات الربانية التي جاء بها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي إلي الناس كافة ، كرسالة إنسانية عالمية أخيرة ، تستوعب جميع مطالب الفطرة وتغطي جميع احتياجات النفس البشرية ومتطلباتها المادية والمعنوية بغاية من الدقة والإحصاء والشمول .

لقد كان هذا الدين ذريعة لتحويل مجريات التاريخ الإنساني من طريق الأهواء والشهوات إلى صراط الله المستقيم ، وتغيير المجموعة البشرية إلى المجتمع الإنساني الأفضل الذي شهد نماذج عالية من المؤمنين الصادقين الذين مثلوا على مسرح العالم حياة الإيمان والورع والعمل والسلوك ، وكانوا قدوةً للبشرية في كل عصر ومصر ، ذاك أن الشريعة الإسلامية بتوجيهاتها وأحكامها وحدودها لا تضن على أحد بإضفاء جمالها ونورها ، وبناء الشخصية المثالية المتميزة التي تقود مسيرة الإنسانية وتمهد الطريق نحو الاتصال بالله ، وتقدم للناس مقاييس العدل

والقصد في الأمور كلها تفادياً من المغالاة وقلة الاحتفال بالأولويات ، والاختلال في التوازن .

الشخصية المثالية :

تفاءل العالم الإسلامي كله باختيار سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الشخصية الإسلامية لعام ١٤١٩ هـ (١٩٩٩ م) وإعلان ذلك بواسطة الإعلام العالمي ، وقد رحبت الأوساط العلمية والدينية في كل مكان بهذه الخطوة الموفقة التي قامت بها حكومة إمارة دبي عن طريق لجنة الجائزة الدولية للقرآن الكريم بإشراف ولي العهد سمو الشيخ محمد بن راشد المكتوم ، وزير الدفاع – حفظه الله تعالى – .

إن سماحة العلامة الندوي بتميزاته وخصائصه التي أكرمه الله بها ، وبالجمع المتزن بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع ، والنظرة الجامعة بين الدين والدنيا والروح والجسم، أولى بكل جدارة ، بل وفوق كل جدارة ، من غيره بالتكريم على هذه الجامعية والاتزان ، على المستوى العالمي ، وتقديم أعظم جائزة إليه على القدوة المثالية والخدمات العلمية والدعوية التي وفق إليها بتقدير من الله العزيز الحكيم ، وقد كان إعلانه عن وقف هذه الجائزة المالية الغالية على التعليم الإسلامي في نفس الحفل ، وأمام الأشهاد ، مؤشراً كبيراً على شخصيته المثالية التي يتمتع بها .

نظرة العلامة الندوي عن الشخصية الإسلامية :

وبالمناسبة يحلو لي أن أبين نظرته نحو الحياة التي يعيشها المؤمن في الدنيا من أجل الآخرة ، لكي تتمثل شخصيته الإسلامية بجميع ملامحها وآثارها ، إنه يتحدث عن موقف

المؤمن من الحياة وجمعه بين الانتفاع بمرافق الدنيا والسعي للآخرة والكفاح في سبيلها ، فيقول :

" وخير ما يمثل موقف المؤمن من هذه الحياة ، ويحدده بدقة ومقدرة ليست فوقها دقة ومقدرة ، هو الجملة الحكيمة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الدنيا خلقت لكم ، وإنكم خلقكم للآخرة) : فالمسلم يجمع بين الانتفاع بمرافق الحياة وأسباب الدنيا واستخدامها كشئ ، خلق لأجله وسخر له ، وبين السعي للآخرة والكفاح لها كغاية خلق لأجلها ، فهو ينظر إلى الدنيا وقواتها ووسائلها كمطية ومركب لا كراكب ومتصرف ، وكمملوك ورقيق لاكمالك وسيد ، ووسيلة لا كغاية ، وينظر إلى الآخرة كغاية ينتهي إليها ووطن يلجأ إليه ، فيجمع عليه همته ويرهق له قواه ويحث إليها مطيته ، وذلك مثل النبوة الذي مثله الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إذ قال : " مالي وللدنيا وما أنا والدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها " .

وقد تجلت هذه النفسية القرآنية ، والنظرة القرآنية إلى الحياة في حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتعاليمه وسلوكه ، وكلامه وعواطفه ، وأمانيه ودعائه وسره وعلنه ، وتجلت كذلك في حياة الصحابة الذين تربوا وتكونت سيرتهم وعقليتهم في حضانته وتحت إشرافه ومن كان على نهجهم وعلى غرارهم من التابعين والمؤمنين من هذه الأمة ، بحيث قد صار ذلك طابعاً لحياتهم ، ومزاجاً لا ينفك عنهم ، وأصبح من الحقائق التاريخية التي لا يمارى فيها .

ويوصي بالاحتفاظ بالشخصية الإسلامية التي تتمتع بها هذه الأمة وتبنى بها حضارة الإسلام ، التي تصل بالإنسان المسلم

بالملكوت الأعلى ، وتحلي حياته بالقيم المثلى ، فتكون نموذجاً عالياً رفيعاً للمسلم المطلوب والمؤمن المثالي ، يقول :

" إن الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ومركز هذه الإمة في العالم ، معرفة رسالتها والإيمان بقيمتها ، والضغط على قيمة الآخرة وما بعد هذه الحياة – من سعادة وشقاء وجنة ونار – والتركيز على الجانب الخلقي والروحي من الحياة ، هو الخط الفاضل الذي يشكل الحد الفاصل الرسمي بين الحضارتين ، حضارة يوافق عليها الإسلام ، ويتحمل مسئوليتها ، ويباركها ، وتتجلى فيها الشخصية والأصالة والإبداع ، وحضارة يتبرأ منها الإسلام ويخسر فيها المسلمون ، وتتجلى فيها العبودية والرضوخ والاستسلام ، والعبادة التي لا تعرف إلا تقليد الببغاوات، ومحاكاة القرود .

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين نموذج عال للشخصية المثالية

أما نظرته نحو الكون والحياة والإنسان فهي دقيقة في غاية من الدقة والبراعة والشمول ، إنه ألف كتابه القيم أول ما بدأ سلسلة العمل التأليفي ، والبحث التاريخي : " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " الذي أثار ضجة في دنيا البحث والفكر الإسلامي الأصيل ، ومنح الكتاب الإسلاميين والمؤلفيين المفكرين وجهة جديدة للأسلوب الفكري الدعوي الواقعي ، هل كان يفكرون في موضوع انحطاط المسلمين من هذه الزاوية ، وهل كانوا يصدقون أن انحطاط المسلمين كان سبباً لخسارة العالم الإنساني كله ، من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ؟ إنني لا أظن أن هذا الأسلوب من التفكير عثر عليه المفكرون والدعاة قبل هذا الكتاب الذي يوضح نظرة المسلم الواعي المفكر إلى الكون والحياة والإنسان ، ويبيّن

موقفه من ذلك في ثقة ودليل واقتناع ، ولذلك فقد شهد بقيمة هذا الكتاب العظيم وأهميته كبار علماء العالم الإسلامي ودعاته ، يقول فضيلة الأستاذ المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى ، المفكر والكاتب الإسلامي والداعية الكبير في مقدمة هذا الكتاب :

" إنني – علم الله – لست أذكر فيما قرأت من القديم والحديث كتاباً حوى من الخير ما حواه هذا الكتاب ، ولا كتاباً وضع أيدينا على دواء ما نشكو منه من أدواء وأمراض كما فعل هذا الكتاب ، ولا كتاباً نفذ كاتبه إلى روح الإسلام، وأخلص ويخلص في الدعوة له ، ويقف كل جهوده على هذه السبيل ، كهذا الكتاب " .

ويقول الكاتب الإسلامي الكبير والباحث والمفكر والداعية الأستاذ سيد قطب (رحمه الله) في تقديمه لهذا الكتاب :

" إن الخصيصة البارزة في هذا الكتاب كله هي الفهم العميق لكليات الروح الإسلامية في محيطها الشامل ، وهو لهذا لا يعد نموذجاً للبحث الديني والاجتماعي فحسب، بل نموذجاً كذلك للتاريخ كما ينبغي أن يكتب من الزاوية الإسلامية " .

وكفى العلامة الندوي شهادة على شخصيته الإسلامية الكبيرة إقبال العالم الإسلامي ، بل العالم الغربي والشرقي كله ، على جميع مؤلفاته وكتبه ورسائله التي يتجاوز المأتين ، وتنافس الشباب المسلم في اقتنائها والاستفادة منها عصارة الفكر الإسلامي الخالص الذي يشمل الحياة والمجتمع بجميع أطوارهما وعواملهما وقيمهما ، ويعيد الثقة بالإسلام وشريعته ومنهجه للحياة ، ويثير الحماسة الإيمانية في نفوس المسلمين لاستعادة مجد الإسلام وقوته ، ويحثهم على تسلم زمام القيادة

العالمية ، وإنقاذ العالم البشري من الجاهليات الحديثة والفلسفات الوضعية المنهارة والحضارات المادية التي حولت حياة الإنسان إلى جحيم من العصبيات والتساقط على الشهوات الفانية، واللذات الزائلة ، التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

شخصية المؤلف الإسلامية العظيمة تتجلى من خلال فكره العملاق ونظرته الفريدة نحو العالم واطلاعه الواسع على الفلسفات الحضارية والنظرات المادية التي تجعل الإنسان مطيةً لأغراض رخيصة ، وهو بذلك أجدر ما يكون بكل تكريم ، وإجلال واحترام ، وقد رفع الله سبحانه منزلة عباده المقربين وأوليائه المتقين فقال : (أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَى فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) .

الباب الثاني

مدارس الهند ودورها في بناء الشخصية الإسلامية

لا يخفى على العارف البصير أن الهند شبه قارة ، فالعلوم الدينية والعقلية التي تدفقت في ربوعها ، والعلماء الذين نبغوا وساهموا في تطويرها ، والمساعي التي بذلوها في سبيل الدفاع عن الإسلام، والمدارس التي خرجت أفواجا من العلماء والعباقرة الذين احتلوا مكانا مرموقا في المجتمع الهندي بأشمله ، وقادة الفكر والزعماء السياسيين الذين أراقوا مهجهم في سبيل تحرير البلاد ، فمجرد سرد أسمائهم يحتاج إلى قائمة طويلة، فضلا عن أن يلقي الضوء على مآثرهم.

أما بعد استيلاء الشركة التجارية البريطانية على السلطات الإدارية في أرض الهند ، وتكللها بالنجاح كليا ، وبعد الكارثة الأليمة التي اعتقل بسببها الملك الغوي الأخير بهادر شاه إلى رنغون، فصار الخطر أدهى وأمر على المسلمين، والتحديات أشد وأنكى، . وزاد الطين بلة حيث توغلت البعثات التنصيرية في أنحاء الهند ، حتى ضاقت عليهم أرضها بما رحبت، وأصبح من العسير الحفاظ على عقيدتهم وهو يتهم، هنا قام أهل الغيرة وأولي العزم من العلماء لنشر العلوم الإسلامية، وللحفاظ على دينهم فأسسوا عدة قلاع إسلامية ومن بينها دار العلوم ديوبند وجامعة علي جراه الإسلامية، اقتصرت الأولى على العلوم الدينية البحتة واستهدفت الثانية العلوم العصرية المحضة، وما مضى

عليها عصر طويل إذ نشبت بينهما حروب باردة، وبرزتا في الساحة ككتلتين متضادتين، إذ أسست ندوة العلماء عام١٨٩٢م لتكون صرحا علميا بين اتجاهين، ومنارا لرفع النزاع، وحاملة لواء المنهج الوسط، وقامت بإصلاح المقررات الدراسية والتوفيق بين المتباعدين، والتوسط بين القديم والحديث، والتلقي مما صفا، والتنحي مما كدر، ففازت ونجحت في مراميها والحمد لله على ذلك .

الهند: نسبتها وتسميتها

الهند منسوبة إلى"إنديرا" (إله الهند القديم للمطر)[١] وبعض الباحثين ينسبونها إلى كلمة "سندهو" وهوالاسم الهندي لنهر الإندوس أي السنده. ومن هذه الكلمة اشتقت كلمتا:" إند" "و"هند" ومعناهما الأراضي التي تقع وراء نهر الإندوس[٢]وعرفت الهند في عهد الملك"داشراشا" باسم"بهارتا" أو" بهارتاورشا" نسبة إلى ابن له.

وقال السيد أبوظفر الندوي: نطق الرومان اسم الهند بلغتهم الخاصة: انديا، ومن هناك انتقلت هذه التسمية إلى الإنجليزية[٣] وقد تحدث كل من الجاحظ (م٢٥٥هـ) والمسعودي (٣٤٦). والمقدسي(٣٧٧هـ) وابن النديم وأبو الريحان البيروني في كتبهم عن الهند وتاريخها.

الهند مهد للديانات والحضارات :

الهند بلاد ذات ديانات متعددة وحضارات ومتنوعة وهي أرض العجائب والغرائب، وموطن الفلاسفة والحكماء،وكان

١- حضارة الهند لغوستاف لوبون:٢٥

٢- الهند لحسن محمد جوهر وغيره ص:٧

٣- تاريخ الهند:١

ممن سكن هذه البلاد من الأمم والملل الآريون والمغول وغيرهم من القبائل والعشائر والمتعددة.

ذكر المؤرخون أن السكان الأصلاء للهند هم دراور، وكول وبهيل، وهي شعوب سود، فقبل ٣٥٠٠/ في عصر دراور ورد الأريون مرورا بأفغانستان من وسط آسيا، وهم الذين عرفوا بالبراهمة فحاربوا مع السكان الأصلاء، لكن بمرور الزمن اتحدوا وتضامنوا فيها بينهم، وكان الآريون بيضا، وذوي قامات طويلة، جاءوا من السند، وسيطروا على بنجاب ثم انتشروا في أنحاء الهند وكان في الآريين ملك بهرت، سميت الهند على اسمها ببهارت، وورد من شمال المشرق قوم آخرون، هم المنغول، كانت قامتهم قصيرة، وأنوفهم مسطحة.

وكانت في الهند ديانات متعددة : الهندوسية والجينية والبوذية، والإسلام

الهندوسية:

فالآريون من منتحلي الهندوسية، وهم يعبدون الأحجار والأشجار والتماثيل- وقد انقسموا إلى أربع طبقات: البراهمة، الششتري، الويش، المنبوذ. فالبراهمة كما زعموا خلقوا للقيام بالأمور الدينية، والششتري للمحاربة، والويش للمزارعة، والمنبوذ للأعمال الشاقة، ومن كتبها رك ويد، يجرويد، سام ويد، اتهرويد.

أما **ديانة جين** فكان مؤسسها مهاوير، الذي ولد قبل ألفين وخمس مأة سنة في قرية ويشالي بولاية بهار، وكانت نظريته على عدم التشدد.

البوذية:

كان مؤسس هذه الديانة، في لمبني من بلاد نيبال، ولد قبل ألفين وخمس مأة سنة، وتجول في الصحارى والقفار طلبا للراحة

والطمأنينة، ومات في كشي نغر من ولاية أترابراديش (الهند).

دخول المسلمين في الهند:

العلاقات بين العرب والهند قديمة قدم التاريخ، وقد توطدت على مر العصور وتعمقت جذورها، كما بدأت العلاقات التجارية قبل الإسلام.

وقال العلامة السيد سليمان الندوي: "ذكرت في كتب التفسير والأحاديث النبوية قصة سيدنا آدم، فهي تدل على نزوله في الهند، ووطئت أقدامه أرض سرانديب(لنكا)، وقال ابن جرير، وابن أبي حاتم والحاكم أن أرض الهند التي مشى عليها سيدنا آدم عليه السلام تعرف بالدجناء (تفسيرالدر المنثور ج١/٥٥)[١]

فعلاقة المسلمين بهذه الأرض قديمة جدا، وجاء الإسلام إلى الهند من طرق ثلاث ١- التجارة ٢- الهجمات والفتوحات٣٠- العلماء والمشائخ الذين تركوا بلادهم، واستوطنوا الهند، ورد في سبحة المرجان عن آثار هندوستان:

"أن الإسلام وصل الهند عن طريق التجارة، فقد كان التجار المسلمون يشتغلون بتبادل البضائع بين الدول الإسلامية والدول الواقعة في جنوب آسيا على سواحل المحيط الهندي، واستمرت العلاقات الودية بين المسلمين والهنود إلى ٧١١هـ[٢]

فأما طريق التجارة، فهي ميناء غجرات وولاية مالابار، حيث استقرت سفن التجار ودخلوا في الهند، فواصلوا العلاقات فيما بينهم.[٣]

٤- العلاقات بين العرب والهند ص١- ٢. طبع دار المصنفين، عام ٢٠١٠، بأعظم جراه، الهند.

٥- سبحة المرجان عن آثار هندوستان ج١/ص٢٠ جامعة على جراه عام ١٩٧٦م.

٦- راجع للتفصيل العلاقات بين العرب والهند للعلامة السيد سليمان الندوي: الباب الثاني ص ٣٤.

وأما الهجمات والفتوحات فأشهرها ما قام به محمد بن قاسم عام ٩٣ من الهجرة ، ومن توصلت العلاقات بين العرب والهند ، أضف إلى ذلك الفتوحات الإسلامية التي أنجزها محمود الغزنوي وغيره.

ثم العلماء الربانيون والمشائخ الكبار الذين أتوا إلى الهند ونشروا رسالة الإسلام في أنحاءها حيث دخلت آلاف مؤلفة من الناس في الإسلام وفهموا معانيه فهما جيدا ، بل تكلموا بالعربية

اللغات:

توجد في الهند لغات كثيرة، نظرا إلى الشعوب والأمم المختلفة، وقد أثبتت الإحاصائيات أن هناك أكثر من خمس مأة لغة. فاللغة الهندية التي هي سليلة اللغة السنسكريتية وهي لغة رسمية، وهناك لغة أردية وهي لغة تكونت من الفارسية والعربية والهندية وغيرها، هي لغة ثانية، ورسمية.

أما اللغة العربية فهي لغة المدارس والجامعات ، فإن أهلها يتكلمون بها، وينشرونها، ويكتبون فيها، وقد انتشرت في أوساط العلماء والمدارس الدينية والجامعات العصرية انتشارا كثيرا، بحيث أقيمت معاهد وأقسام خاصة لها.

كانت اللغة الفارسية إلى مدة لغة البلاد الرسمية، ثم أصبحت الهندية. الآن.

اللغة العربية أهميتها وخصائصها:

إن اللغة العربية أوسع صدراً من اللغات الأخرى في جميع هذه المجالات الحيوية التي أشرنا إليها بإيجاز ، لأنها تمتاز بوفرة كلماتها وتنوع أساليبها وعذوبة منطقها ووضوح مخارج حروفها، كما أنها أدق اللغات تصويراً لما يقع تحت الحس ، وأوسع تعبيراً

عما يجول في النفس ، وقد نزل بها القرآن الكريم فجعلها أكثر نضوجاً وأمتن بنياناً وأقوى استقراراً ، وبفضله صارت أبعد لغات العالم مدى وأوسعها أفقاً ، وأقدرها على النهوض بتبعاتها الحضارية والدينية عبر التطورات التي يعيشها المجتمع الإنساني ، ولقد استطاعت اللغة العربية في ظل الدين العالمي الخالد الذي تنتمي إليه أن يتسع صدرها للإحاطة بأبعد انطلاقات الفكر ، والارتفاع إلى أعلى آفاق الاختلاجات النفسية ، فليس هناك معنى من المعاني ولا فكرة من الأفكار ولا نظرة من النظرات يصعب التعبير عنها باللغة العربية بغاية من الوضوح بالأحرف والكلمات .

اللغة العربية لغة عالمية ، فلا تختص بشعب أو أمة خاصة :

ولم تبق اللغة العربية لغة العرب وحدهم ، بل ثقفتها الأمم الأخرى ، وأولتها من العناية والحفاوة أكثر مما أولت لغتها أحياناً ، فصارت لغة العلوم والآداب للعرب وغير العرب حقباً طويلة من بين أقصى المغرب وأقصى المشرق ، ولا تزال على تبدل الأحوال ، لغة أدب وعلم في كثير من الأمم الإسلامية غير العربية .

وما تزال لغات هذه الأمم مترعة بالألفاظ العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور أدباً لا تحويه لغة ، أدباً موطنه ما بين الصين إلى بحر الظلمات – كما يقول العلماء – وزمانه أربعة عشر قرناً من الزمان .

لا نعرف من آداب العالم قديمها وحديثها أدباً اتسعت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به الأعصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة بقوة الإسلام وقوة القرآن ، وبهذا كله استطاعت أن تكون لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الإنساني .

لأول مرة نجد في التاريخ لغة تنتشر بهذه القوة ، فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ، ولكنها لم تصل إلى أعماق الشعوب ، ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الأيام في بلاد الشرق ، وأما اللغة العربية فقد غلبت كل هذه اللغات ووصلت إلى أعماق شعوبها .

والرومانيون استطاعوا أن ينشروا اللاتينية في المغرب الأوربي : في فرنسا وفي بريطانيا وفي أسبانيا ، وحاولوا أن يجعلوها لغة منتشرة في شمال أفريقيا ، فلم يفلحوا ، ولكن العربية استطاعت أن تقهر اليونانية في الشرق ، وأن تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد ، وأ ن تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم أن تقهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الأندلس ، وأن تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعاً .

وبالمناسبة يسرنا أن ننقل إلى حضرات القراء الكرام ، شهادات بعض المثقفين الغربيين ، حول عالمية هذه اللغة وشمولها وقوتها ودورها في نشر الثقافة العربية وإسهامها في التطور الحضاري .

يقول "ماسينيون" المستشرق الفرنسي :

"إن اللغة العربية متينة البناء كالحجر الصلد ، وهي حساسة متوهجة كالشرارة ، وهي لغة مقدسة ، ولقد كانت أيضاً لغة العلوم ووعاء الثقافة ، ففي القرن الحادي عشر كان عالم الرياضيات العربي الكبير (البيروني)

يكتب باللغة العربية كما كانت العلوم تنتقل بها عن طريق الترجمة إلى مختلف أنحاء العالم ، وبقيت هذه العلوم منقوشة على القلوب بعد أن حملتها اللغة العربية" .

ويقول "جيسكارديستان" رئيس جمهورية فرنسا عند زيارته لمصر في عام ١٩٧٥م ، في الخطاب الذي ألقاه بجامعة القاهرة لمنحه درجة الدكتوراه الفخرية :

"إن الجمال المجرد للغة العربية قد أكد دورها في نشر المدنية ، وفي التطور الحضاري في قارتي آسيا وإفريقيا ، وهي تقابل في ذلك ناحية الشمول والإحاطة في اللغة الفرنسية التي تمثل في حد ذاتها الحديث عن الاستقلال والحرية والعدالة" .

واللغة العربية في حاضرها تعيش نهضة عصرية جديدة، وإنها لقادرة على استيعاب المصطلحات العلمية وتمثيلها ، وقد أخذت الجامعات في الأقطار العربية تهتم بتطويع اللغة لاستيعاب مصطلحات العلوم والفنون والصناعات والتكنولوجيا الحديثة ، ولله در القائل ، وهو الحافظ إبراهيم شاعر النيل يقول على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتدوين أسماء لمخترعات

أعلام اللغة العربية في الهند عبر العصور :

رأت الهند منذ طلوع شمس الإسلام على أفقها نشاطا ملحوظا في كل من العهد العربي والغزنوي، والغوري ودولة

المماليك وعهد الخليج والتغالقة والعهد المغولي وعصر الاحتلال الإنجليزي والعصر الحديث.

لما فتح محمد بن قاسم الهند جاء معه جماعة من العلماء أمثال ربيع بن صبيح البصري السعدي، وكان تابعيا، وحباب بن فضالة التابعي، وبتربية هؤلاء الأعلام نبغ من أهالي الهند الشيخ أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني المتوفى سنة ١٧٠، الذي يعد من أقدم كتاب السيرة النبوية، والشاعر العربي أبو عطاء السندي.

ثم قامت الحكومة الغزنوية، فكان الرحالة والمؤرخ المشهور أبو الريحان البيروني الذي أقام في الهند زهاء عقدين من الزمان، وألف كتاب الهند، وقدم إلى الهند الشيخ محمد إسماعيل، وعاش في رحاب الهند أيضا مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري.

وحكم الغوريون عشرين سنة الهند، فكان من أبرزعلمائها الشيخ الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني الذي عرف بمؤلفه الجليل:" العباب الزاخر واللباب الفاخر" في عشرين مجلدا، ومشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية" في علم اللغة وعلم الحديث.

واستمر عهد الخليج والتغالغة بعد العهد الغوري، وقد نبغ فيه الشيخ نظام الدين أولياء الذي كانت خطبته العربية مشهورة، والشاعر أمير خسرو الذي لقب ببغاء الهند.، وقرض أشعارا رائعة في العربية.

ثم جاء عهد آل تغلق فألفت مؤلفات وكتب، منها خلاصة جواهر القرآن، وخلاصة الأحكام بشرائط الإيمان والإسلام، والفتاوى التاتارخانية، وتبصيرالرحمن وتيسير المنان،

ومن أعلامها الشيخ أبوبكر إسحاق بن تاج الدين الملتاني، والقاضي حميد الدين الدهلوي، والشيخ حسام الدين الدهلوي صاحب بحار الذخيرة، والشيخ علي بن أحمد المهايمي.

وحكم المغول الهند إلى مدة طويلة، وكان من أعلامها الشيخ محمد طاهر الفتني وملا محمود الجونفوري ومحمد أعلى التهانوي صاحب موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون والعلامة ولي الله الدهلوي، والعلامة غلام علي آزاد البلكرامي والشيخ مرتضى الزبيدي.

وبعد نهاية عهد المغول جاء عصرالاحتلال الإنجليزي ونبغ فيه العلامة فيض الحسن السهارنفوري، والعلامة فضل حق الخيرآبادي، والعلامة عبد الحي الحسني والعلامة شبلي النعماني والعلامة حميد الدين الفراهي والعلامة نواب صديق حسن خان، والعلامة عبدالحي الفرنكي محلي، والعلامة عبد الرحمن المباركفوري، والعلامة محمد يوسف البنوري، والعلامة السيد سليمان الندوي.

ثم جاء العصر الحديث فكان في طليعة الأدباء العلامة أبوالحسن علي الحسني الندوي، والعلامة مسعود عالم الندوي، والعلامة عبد العزيز الميمني، والعلامة محمد زكريا الكاندهلوي، والشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ وحيد الزمان الكيرانوي والشيخ أبومحفوظ الكريم المعصومي، والشيخ محي الدين الألوائي، وغيرهم.

هذا سرد تاريخي للأدباء البارزين في الهند، ذكرته مدخلا إلى الموضوع.

أبرز المدارس العربية في الهند: تعريف موجز

التعليم والتربية يعتبران الوسيلة الوحيدة لتوجيه الأمة إلى

هدفها الصحيح وتوحيد كلمتها وجمع عناصرها المتعددة على مركز واحد، وقد ركز الإسلام أول ما ركز على واقع التعليم والتربية وطلب العلم، كما تحقق ذلك بأول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(العلق١- ٥) : وهذا المعنى نفسه يتجلى في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، التي تشير إلى أن حضارة الإسلام قوامها العلم، وأن مكانة القيادة والوصاية على البشرية لا تدرك إلا بالعلم الصحيح .

وفعلا قامت مدارس العلم ومدارس التعليم والتربية في عهد الإسلام المبكر نابعة من مدرسة الصفة التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن نظام المدارس بدأ من المساجد، ثم أقيمت المدارس المستقلة، وصدق الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه" تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي:

"بدأ نظام التعليم من المساجد ثم نشأت مدارس جامعة منفصلة في تاريخ الإسلاواستمر هذا النظام إلى القرن الرابع للهجرة، بدأ من المسجد النبوي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأزهر في القرن الرابع، ثم أنشئت مدارس مستقلة"

تاريخ المدارس الإسلامية في الهند :

إن تاريخ المدارس في الهند يرجع إلى الملك شهاب الدين الغوري الذي فتح أجمير، وأنشأ فيها مدارس عديدة، ثمّ وسع نطاقها قطب الدين أيبك عام ٥٨٩هـ، فأسس مدرسة عظيمة بمدينة دهلي، وخلفه شمس الدين التمش، فبنى مدرسة سمّاها "المدرسة الناصرية" ثمّ أنشئت مدارس ومعاهد في مدن متعددة في الهند.

أمّا دهلي وبنجاب وآغره، وأودهـ، وبهار وبنغال ودكن ومالوه وملتان، وكشمير وغجرات، وسورت وغيرها من المدن فقد أنشئت المدارس بأسماء وعناوين مختلفة، حتى انتشرت شبكة المدارس الإسلامية في أرجاء الهند[1].

في آخر حكومة المغول في الهند كانت مدرستان: "مدرسة الشيخ ولي الله الدهلوي"، و"مدرسة الملا نظام الدين"، هاتان المدرستان لعبتا دوراً مهماً في صياغة الذهن، وإعداد النشء الجديد بين المسلمين والإنجليز، وقد أبلى الشيخ نظام الدين في هذه المهمة بلاءً حسناً.

لكن الفارق الأساسي بينهما أن الأولى اهتمّت بصيانة الصبغة الدينية والدعوة، وخدمة العلوم الإسلامية، وتغلب على الثانية تأثير العلوم العقلية والشغف الزائد بها.

المدرسة الرحيمية:

قد أنشأ هذه المدرسة والد الإمام الدهلوي الشيخ عبد الرحيم في "دهلي"، وقد درس فيها الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم فيها، ومازال يدرس فيها، ثم واصل التدريس فيها الشيخ عبد العزيز الدهلوي (١٢٤٩هـ) وتولّى التدريس بعده الشيخ محمد إسحاق (١٢٦٢هـ).

دار العلوم ديوبند :

وقد أخفقت ثورة ١٨٥٧م لأسباب مؤسفة، واستطاع الإنجليز أن ينتقموا من المسلمين بطرق شتى، فركزوا جهودهم على تنصير المسلمين وردّهم عن الإسلام عن طريق التعليم المادي، ولم يعد للمسلمين طريق، سوى أن ينضمّوا إلى معسكر

---

[1] راجع للتفصيل: المدارس الإسلامية القديمة في الهند للشيخ أبي الحسنات الندوي، طبع دار المصنفين عام ١٩٧١م.

الإنجليز أو يشقوا لهم طريقاً ينقذهم من أساليبهم الماكرة، فبدأ العلماء، وعلى رأسِهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي حركة عامة لنشر التعليم الديني والثقافة الإسلامية في المسلمين، ورأى أنّه هو أقوى سِلاح في وجه الاستعمار الإنجليزي.

وتبنى الشيخ محمد قاسم النانوتوي فكرة تأسيس مدرسة كبيرة في "ديوبند" تأسّست على مبدأ الإخلاص والإيمان، فتوسّعت في مراميها وأهدافها التي قامت لأجلها، وشعار دار العلوم "ديوبند" كما يقول العلامة الندوي: "التمسك بالدين، والتصلب في المذهب الحنفي، والمحافظة على القديم، والدفاع عن السنة"[1].

وقد مرّ على هذه الجامعة قرن ونصف قرن، فخرَّجت خلال هذه المدة آلافاً مؤلفة من العلماء والحفاظ، والمحدثين والمفسّرين وغيرهم، وتهتمّ الجامعة بتدريس الدرس النظامي بزيادة كتب ومؤلفات قيمة، وتصدر من هذه الجامعة مجلة اسمها "الداعي" منذ زمن غير قصير.

ولا شك أنها جامعة دينية عربية كبيرة تستحقّ أن تسمّى أزهر الهند، وهي الجامعة الإسلامية دار العلوم "ديوبند"، كان تأسيسها على العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوي (١٢٩٨هـ)، وقد خرجت رجالاً كثيراً عاملين في مجالات الدعوة والتعليم والتربية.

أمّا سبب تأسيسها فهو كما يأتي:

استهل عام ١٨٥٧م، بتذمر عام على الحكم الإنجليزي، فنهض المسلمون، وفي مقدّمتهم العلماء بثورة عارمة على

---

[1] المسلمون في الهند ص: ١٠٥، طبع المجمع الإسلامي العلمي ١٤٣٤هـ/ ٢٠١١م.

الاستعمار، وحرب شاملة ضده، وكان الشيخ محمد قاسم النانوتوي قائد قوّات ا لمسلمين في ساحة "تهانه بهون" و"شاملي" حيث وقعت معركة حاسمة.

مدرسة مظاهر علوم:

تأسّست هذه المدرسة في نفس العام الذي أنشئت فيها دارالعلوم "ديوبند" عام ١٢٨٣هـ /١٨٦٦م، وذكر الشيخ محمد شاهد السهارنفوري في مؤلفه القيّم "علماء مظاهر علوم سهارنفور وإنجازاتهم العلمية والتأليفية":

"كان الناس ينتظرون "ساعةً مباركةً" ويوماً ملهماً لوضع حجر أساس الجامعة، وكان المؤسسون لها في انتظار لساعة كان قد قدّرها الله لهذا العمل المبارك.إذ صادفت يوم ١/من شهر رجب عام ١٢٨٣هـ/ نوفمبر ١٨٦٦م، ووضع حجر أساس جامعة مظاهرعلوم بمدينة "سهارنفور"[١].

كان من مؤسسيها فضيلة الشيخ سعاد ت علي، والسيد القاضي فضل الرحمن، والشيخ محمد مظهر النانوتوي، والشيخ أحمد علي السهارنفوري.

وقد خرَّجت الجامعة أيضاً عدداً محترماً من العلماء والدعاة والمحدثين، الذين ذاع صيتهم في كل مكان.

ندوة العلماء ودار علومها:

تأسست ندوة العلماء زمن الاحتلال الإنجليزي، عام ١٨٩٢م، وذلك باجتماع نخبة من العلماء من طول الهند وعرضها، وكان من شعارها: الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،

١- علماء مظاهر علوم سهارنبور وإنجازاتهم العلمية والتأليفية للشيخ محمد شاهد السهارنبوري ج١/٦٨، مكتبة الشيخ التذكارية، حي مبارك شاه سهارنفور، يوبي، الهند ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.الطبعة الأولى.

وكانت تؤمن بهذه القاعدة: خذ ما صفا، ودع ما كدر، ووضعت دائماً أمامها قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كلموا الناس على قدر عقولهم، أتريدون أن يكذب الله ورسوله، وكانت أهدافها تتلخص في إعداد جيل متحمس للدين، وإصلاح المقررات التعليمية ودحض الاختلافات الداخلية، ونشر الإسلام في أرجاع المعمورة.

يقول العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه، بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم"[1].

وسيأتي تاريخ ندوة العلماء ودار علومها باختصار في الصفحات الآتية.

مدرسة الإصلاح :

وفي عام ١٩٠٩ م الموافق لسنة ١٣٢٧ هـ أسس العلامة حميد الدين الفراهي مدرسة باسم مدرسة الإصلاح ، بسرائي ميرفي أعظم جراه ، وكان التركيز فيها على تدريس القرآن الكريم، فأُعد لها منهج خاص بالقرآن الكريم وعلومه ، وقد مر عليها قرن بكامله ،

---

[1]- المسلمون في الهند، ص:١٢٤، للعلامة الندوي، طبع المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

وأثرى خلال ذلك المكتبة القرآنية والمجالات الآخرى .

الجامعة الرحمانية :

ومن المدارس الإسلامية الجامعة الرحمانية بمنطقة مونجير بهار، أنشئت عام ١٩٢٧ م المصادف ١٣٤٦ هـ ، على يد العالم الجليل محمد علي المونجيري ، مؤسس ندوة العلماء ، وبعد وفاته تولى رئاستها الشيخ لطف الله من علماء المنطقة ، ثم في عام ١٩٤٢ م انتخب الشيخ منة الله الرحماني أميراً للإمارة الشرعية بولاية بهار وجارخند وأريسه فأحيا هذه الجامعة الرحمانية من جديد .

ويرأسها الآن الشيخ الجليل العالم الرباني محمد ولي الرحماني (الأمين العام لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند).

الجامعة الإسلامية بدابهيل :

تأسست هذه الجامعة سنة ١٩٠٨ م ، المصادف ١٣٢٦ هـ على يد الشيخ أحمد حسن البهام بمساعدة أحمد بزرك وأحمد درويش ، وقد درس فيها والدي الجليل المحدث محمد أيوب، حوالي ٢٥ عاماً ، ويرأسها الآن الشيخ إسماعيل بزرك .

الجامعة السلفية:

أسست جمعية أهل الحديث في عام ١٣٨٣هـ مدرسة باسم "الجامعة السلفية" في "بنارس" بولاية أترابراديش، وافتتحت هذه الجامعة نشاطاتها عام ١٣٨٥هـ، وقد رحبت بتأسيس هذه الجامعة جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها، وقد ركّزت عنايتها على أهداف تالية:

١ـ تدريس القرآن والسنة كمصدرين أساسيين للشريعة الإسلامية.

٢ـ دراسة اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية والاجتماعية الحديثة منها والقديمة.

٣ـ نشر العلوم الإسلامية والأدبية.

٤ـ إعداد الدعاة الصالحين.

٥ـ الاعتناء بناحية التأليف والطبع في مختلف اللغات.

٦ـ محاربة البدع والخرافات في المجتمعات الإسلامية.

أسماء جامعات ومدارس مختلفة :

أضف إلى ذلك جامعات ومدارس مختلفة في طول الهند وعرضها ، مدرسة "مفتاح العلوم" و"دار العلوم" ومدرسة "فيض عام" و"جامعة مرقاة العلوم" و"جامعة الفلاح" و"جامعة الرشاد" و"مدرسة بيت العلوم" في "أعظم جراه" ومديرية "مئو" ومدارس أخرى في طول الهند وعرضها .

الباب الثالث
جامعات الهند العصرية واعتناؤها باللغة العربية

ولا يُنسى بهذه المناسبة دور الجامعات الرسمية في الهند، فإنّ هذه الجامعات قد ساهمت في ترويج اللغة العربية وآدابها على أوسع نطاق.

إن غاية تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية هي إتقانها، وتشتمل مناهج تعليمها على ثلاث مراحل:

(١) الليسانس (٢) الماجستير (٣) الدكتوراه.

للمرحلة الأولى ثلاث سنوات، ففي السنة الأولى: النصوص والقواعد النحوية والصرفية.

وفي ا لسنة الثانية: القواعد والترجمة والنصوص النثرية والشعرية.

وفي السنة الثالثة: القواعد والترجمة وتاريخ الأدب العربي.

أمّا مرحلة الماجستير فهي تشتمل على سنتين:

السنة الأولى تشتمل على الأدب العربي القديم، النثر، والشعر، والترجمة، وعلم اللغة والبلاغة.

والسنة الثانية: تشتمل على الأدب العربي (قسمي الشعر والنثر) والترجمة والإنشاء وأصول النقد الأدبي وطرق التدريس ومناهج البحث، ثم ينال الطالب شهادة الدكتوراه في اللغة العربية والأدب العربي.

أما مرحلة الدكتوراه فهي مرحلة نهائية في هذا الشأن،

يُعدُّ الباحث أطروحةً حول موضوعات أدبية.

١- **جامعة علي جراه الإسلامية :**

أسسها السر سيد أحمد خان في القرن التاسع عشر جسراً بين القديم والجديد، وبين الشرق والغرب، يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي:

"وأشهرهذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيراً في عقلية المسلمين وسياستهم "جامعة علي جراه الإسلا مية" التي تعدّ من أرقى الجامعات في الهند وأوسعها، أسّسها الزعيم المسلم الشهير السر سيد أحمد خان باسم"مدرسة العلوم".

كان السر سيد أحمد خان يتمنى إعادة الوعي الثقافي الإسلامي في الحياة، فكان تدريس اللغة العربية على أسس ثابتة، وكان فيها قسم الدراسات الإسلامية أيضاً، وقد درَّس فيها اللغة العربية العلامة شبلي النعماني، وأقيم قسم خاص باللغة العربية وآدابها، فأعد منهج تعليمي يجمع بين مصادر الأدب والصحافة العربية الحديثة، وكان المجمع العربي في هذه الجامعة منذ ١٨٩٣م بعناية خاصة من العلامة شبلي النعماني.

٢- **الجامعة الملية الإسلامية بدهلي :**

أسّست هذه الجامعة في عام١٩٢٠م في عاصمة الهند دهلي، واعتنت ولا تزال تعتني باللغة العربية، وتخرِّج دفعات كثيرةً للطلاب المتعلمين فيها، أنشئ القسم العربي عام ١٩٧٠م، وكان هذا القسم منضماً إلى قسم الدراسات العربية إلى عام ١٩٨٨م، ثم أنشئ قسم خاص بها.

٣ - **جامعة جواهر لال نهرو :**

ومن بين هذه الجامعات "**جامعة جواهر لال نهرو**" بدلهي، تأسست في ١٤ / نوفمبر عام ١٩٦٩ م ، التي تهتم بتدريس اللغة

العربية وأمسس لها مركز خاص عام ١٩٧٢ م ، ومنهجه يتميز بالترجمة العربية، وتأسس القسم العربي في جامعة جواهر لال نهرو عام ١٩٧٤م، ثم استقل عام ١٩٩٦م.

٤ - الجامعة العثمانية:

"الجامعة العثمانية" هي جامعة تقع في حيدرآباد بالهند، أسست سنة ١٩١٨م، وسميت بالجامعة العثمانية نسبةً إلى مؤسسها النواب مير عثمان علي خان، وقيل: تيمناً بالدولة العثمانية التي سقطت في فترة إنشاء الجامعة، ويوجد فيها القسم العربي ، وتوجد هيئة الدراسات بالقسم العربي ، وبلغ عدد أعضائها ١٢ عضواً .[١] .

٥ - جامعة إيفل:

"جامعة إيفل" في حيدرآباد، فإنّها جامعة تعتني بالترجمة العربية وتدريس اللغة العربية اعتناءاً بالغاً ، أسس هذا المعهد بوصفه معهداً مركزياً للغة الإنجليزية ، تحت رعاية المجلس البريطاني عام ١٩٥٨ م ، ثم أعيد تنظيم أقسامه وتنسيق نظامه عام ١٩٧٢م تحت رعاية وزارة التعليم ، فسمي بالمعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، ثم أصبحت جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية عام ٢٠٠٥ م [٢].

وافتتح قسم اللغة العربية في هذا المعهد عام ١٩٧٢ م ، وبدأ تدريس اللغة العربية على مستوى شهادة المهارة والدبلوم بعد البكالوريوس في تعليم اللغة العربية الحديثة ، وبالإضافة إلى ذلك، تدرس اللغة العربية الآن على مستوى الماجستير والدكتوراه والدبلوم المتقدم في اللغة العربية الحديثة والدبلوم في الترجمة .

---

١ . للتفصيل راجع إلى : www.osmania.ac.in

٢ . للتفصيل راجع إلى : www.efluniversity.ac.in

وتوجد هيئة للدارسات في القسم ، يحضر اجتماعها أساتذة القسم العربي .

٦- **جامعة كيرالا:**

تأسس القسم العربي في جامعة كيرالا عام ١٩٤٢م أسست الجامعة بمدينة تريفندرام عام ١٩٣٧ م ، وسميت بجامعة كيرالا عام ١٩٥٥ م ، وافتتح قسم اللغة العربية فيها عام ١٩٤٢م، وبدأ تدريس اللغة العربية كلغة ثانية أو إضافية لطلاب البكالوريوس في العلوم ، ولم يبدأ تدريسها على مستوى البكالوريوس في اللغة العربية إلا عام ١٩٦٦ م ، وعلى مستوى الماجستير في عام ١٩٦٩ م ، وعلى مستوى درجة الدكتوراه ١٩٨٩ م [١] .

وتوجد في القسم العربي هيئة للدراسات ، تقوم بإعداد المناهج وإجراء الإصلاحات فيها ، ويحضر اجتماعها أساتذة اللغة العربية في القسم العربي بالجامعة وبالكليات التابعة لها .

٧- **جامعة بنارس الهندوسية:**

وتأسس القسم العربي في جامعة بنارس الهندوسية عام ١٩١٦م، ثم استقل عام ١٩٧٣م ، أسست جامعة بنارس الهندوسية عام ٩١٦ م ، وافتتح فيها قسم اللغة العربية في السنة نفسها باسم قسم اللغات العربية والفارسية والأردية ، وبدأ تدريس اللغة العربية على مستوى البكالوريوس والماجستير ، وكان الأستاذ مير فائز مدرساً وحيداً في القسم في تلك الآونة ، وفيما بعد استقل القسم العربي بنفسه ، وأصبح يُعرف بقسم اللغة العربية وآدابها ، والآن تدرس اللغة العربية على مستوى بكالوريوس الآداب والماجستير والشهادة والدبلوم والدكتوراه .

---

[١] . للتفصيل راجع إلى : www.keralauniversity.ac.in

٨- **جامعة دهلي:**

وتأسيس القسم العربي في جامعة دهلي ما بين ١٩٥٠م - ١٩٦٠م ، أسست جامعة دلهي عام ١٩٢٢ م ، وأقيم فيها قسم اللغة العربية في السنة نفسها ، ولكن تدريسها لم يبدأ إلا بعد مدة ، وذلك على مستوى البكالوريوس والماجستير ، والآن تدرس اللغة العربية على مستوى الماجستير ودرجة ما قبل الدكتوراه والدكتواره بالإضافة إلى الشهادة الابتدائية والدبلوم والدبلوم المتقدم [١].

وتوجد هيئة للدراسات في القسم ، وأما أعضاؤها فهم أساتذة قسم اللغة العربية فقط ، وتقوم بوضع المناهج الدراسية ، أما تدريس اللغة العربية على مستوى البكالوريوس في اللغة العربية فقد وُكل إلى كلية ذاكر حسين التابعة لها .

جامعة كاليكوت:

أسست جامعة كاليكوت عام ١٩٦٨ م ، وأُسس فيها قسم اللغة العربية في العام الدراسي ٧٤ – ١٩٦٥ م ، وتدرس اللغة العربية فيها على مستوى الماجستير ، وتوجد في قسم اللغة العربية هيئة للدراسات على مستوى الماجستير [٢]

٩- **جامعة لكناؤ :**

وأنشئ القسم العربي في جامعة لكناؤ عام ١٩٢٢م باعتناء شمس العلماء كمال الدين، والآن تدرس اللغة العربية على مستوى البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ، وشهادة المهارة والدبلوم ، ويوجد في قسم اللغة العربية هيئة للدراسات ، يحضر اجتماعها خبير من خارج الجامعة ، ومن مهامها القيام بإعداد المناهج وإجراء

---

١ . للتفصيل راجع إلى : www.du.ac.in

٢ للتفصيل راجع إلى : www.universityofcalicut.info

التعديلات والإصلاحات فيها وما إلى ذلك[١]، ودرَّس فيه الأستاذ خليل عرب عام ١٩٢٢م، وكان من رجال هذا القسم البارزين البروفيسور رضوان علي العلوي الذي رأس القسم العربي عام ١٩٧١م _ إلى ١٩٩٢م، ورأسه دكاترة وأدباء آخرون.[٢]

جامعة خواجه معين الدين الجشتي الأردية والفارسية والعربية:

تم تأسيس جامعة أترابرديش الأردية ، العربية والفارسية بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٩ تحت قانون جامعات أتربراديش لعام ٢٠١٠ م ، وأعيدت تسميتها بجامعة السيد كانشيرام الأردية والعربية والفارسية في ٤ أبريل ٢٠١١ م ، ثم أعيدت تسميتها بجامعة الخواجه معين الدين الأردية والعربية والفارسية في العام ٢٠١٢ م، وسميت الخواجه باسم العالم الشهير عالمياً الخواجه معين الدين الجشتي من أجمير ، ولد الخواجه في العام ١١٤١ هـ في جشت ، هرات ، أفغانستان ، واشتهر بلقب "غريب نواز" ، ويحظى هذا العالم الرباني العظيم باحترام الجميع هندوساً ومسلمين في شبه القارة الهندية ، وقد تم اختيار مدينة لكناؤ كموقع للجامعة ، وهي مدينة اشتهرت بثقافتها المشتركة وكنموذج للوحدة بين المسلمين والهندوس [٣]

جامعة ناكبور :

أسست جامعة ناكبور عام ١٩٢٣ م ، وكانت تدريس اللغتين العربية والفارسية والعلوم الإسلامية ، وكان القسم العربي افتتح السنة لنفسها .

---

[١] للتفصيل راجع إلى : www.lkouniv.ac.in

[٢] انتقينا هذه المعلومات من مواقع مختلفة على النت مباشرةً.

[٣] للتفصيل راجع إلى : uafulucknow.ac.in

جامعة غوهاتي :

أسست جامعة غوهاتي بولاية آسام ١٩٤٧ ، وافتتح فيما القسم العربي عام ١٩٦٩ هـ وبدأ تدريس اللغة العربية إلى مرحلة الدكتوراه .

جامعة مولانا أبو الكلام آزاد الأردية القومية :

أنشئت هذه الجامعة على المستوى الوطني عام ١٩٩٨ م ، ومركزها في حيدآباد (الهند) لكن توجد فروعها في الولايات المختلفة وتستمر الدراسة فيها إلى مرحلة الدكتوراه .

جامعة إله آباد :

أسست جامعة إله آباد عام ١٨٨٧ م ، وبدأ تدريس اللغة العربية والفارسية والرياضيات على مستوى البكالوريوس في الآداب منذ تأسيسها على يد الأستاذ منشي ذكاء الله ، وكانت الجامعة في تلك الآونة تشرف على الامتحانات وتنظيم الأمور المتعلقة بها حتى عام ١٩١٤ م ، ثم أعيد تنظيم أقسامها وتنسيق نظامها عام ١٩٢٢ م ، فسُمي القسم العربي بقسم اللغتين العربية والفارسية ، وقد بدأ تدريس اللغة العربية على مستوى الماجستير قبل عام ١٩٢٠ م ، عندما كان الأستاذ زبير أحمد رئيساً لقسم اللغة العربية ، وخلفه أساتذة كالدكتور محمد أحمد الصديقي والدكتور الحافظ غلام مرتضى والسيد محمد رفيق في فترة ما بعد الاستقلال [١]

والآن تدرس اللغة العربية على مستوى البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في اللغة العربية .

---

[١] . للتفصيل راجع إلى : www.allduniv.ac.in

الباب الرابع

مناهج تعليم اللغة العربية في الهند: نظرية وتطبيق

ولا شك أن صياغة ذهن الإنسان تتم بعناصر متعددة، ولا يخلو نظام تعليمي من أدوات أربعة: الأساتذة، الطلبة، والهيئة التنفيذية والمقررات الدراسية، فهذه العناصر الأربعة إذا اجتمعت على أتم شكلها كانت النتيجة مثمرة يانعة جنية، وإن المقررات الأساسية لها قيمة كبيرة في تكوين الذهن، هذا هو السر الذي أدركه الغرب، فجعل يصرف عقول الناس وأذهانهم عن الأساس القويم، بالمناهج التعليمية التي يصوغها بشئ من المكر والدهاء، ويذرع بها بذور الشبهات في النفوس أفرادا وجماعات، ويزحزح الحياة عن الجادة المستقيمة.

إن شئون التعاليم في الإسلام هي القاعدة الصلبة التي ارتفعت عليها الحياة الإنسانية، لأنه أول ما أمر به هو العلم، وكان اعتماده على الكتاب والسنة، لأنهما هما المصدران الأساسيان في تشكيل المناهج الدراسية من غير زيادة أو نقص فيهما، مهما كانت المصالح السياسية أو الاجتماعية تتطلب ذلك.

كان القرآن الكريم هو الأساس في مناهج التعليم الهندي، وكان في المرحلة الأولى لدى كل طالب، فالذين يشتغلون بتعليم القرآن يعرفون بالقراء، وحينما يتقن الطالب القرآن ويجيد قراءته، يتعلم مبادئ اللغة العربية تعبيرا وإنشاء وكتابة ، فكان الطالب في المرحلة الأولى بتعلم العربية إلى حد.

ثم تأتي مرحلة ثانية، وهي مرحلة الثانوية والعالية، فيتعلم الطالب قواعد العربية وآدابها، وكانت كتب النحو والصرف والبلاغة بالعربية، ويبلغ إلى درجة بحيث يفهم الكتب معنا ومفهوما.

ثم تأتي مرحلة ثالثة، وفي هذه المرحلة يتمكن من دراسة الكتب النهائية وهي كتب الحديث والفقه والتفسير.

وقد كانت اللغة اللفارسية لغة رسمية في الهند، فكان هنا ماهرون في هذه اللغة، وبتأثير هذه اللغة كانت كتب الفلسفة والمنطق والكلام في المقررات الدراسية، وقد عم هذا الاتجاه في القرن التاسع الهجري في عهد سكندر اللودي، يقول مؤلف مفتاح السعادة: : لم يكن قبل هذا العهد ذكر كتب شرح الشمسية وشرح الصحائف في المنطق والكلام في الهند[1]

وكان في هذا العهد نظامان للتعليم: نظام مدرسي، كانت المدارس هي المراكز العلمية للتعليم ، فهو نظام موحد، وسبق ذكر المدارس في المناطق المختلفة من الهند في دهلي وأغرة، وأودة، وبهار وبنغال وغيرها من الولايات الأخرى ، هذه المدارس كانت منظمة على نظام تعليمي محكم.

ونظام شخصي، وهو كل من أراد التخصص في فن من الفنون توجه إلى عالم عبقري، أو شخصيةعلمية، وبرع لديه في الفن المطلوب ، فذاع صيته في هذا الباب حتى قصده الناس من كل حدب وصوب.

إن أول من خاض في هذا الباب بشرح وتفصيل هو العلامة السيد عبد الحي الحسني، الذي ألف كتاب: "الثقافة الإسلامية

---

[1]- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة، (٩٦٢)

في الهند" والمناهج الدراسية في الهند وتطوراتها" فإنه قسم المناهج التعليمية في أربعة أدوار مختلفة:

الدور الأول :

بدأ هذا الدور من القرن السابع الهجري، وينتهي إلى القرن العاشر وكانت دراسة الفنون الآتية لازمة: الصرف ، النحو ، والبلاغة ، والفقه وأصول الفقه والمنطق والكلام والتصوف والتفسير والحديث.

فكان في النحو المصباح، الكافية، لب الألباب للقاضي ناصر الدين البيضاوي، والإرشاد للقاضي شهاب الدين الدولة آبادي.

وكان في اللغة العربية والأدب العربي المقامات الحريرية، وقد ورد في كلمات الشيخ نظام الدين أولياء أنه قد درس من أستاذه شمس الدين الخوارزمي المقامات الحريرية، وحفظ عن ظهر قلب أربعين مقامة.

الدور الثاني:

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ورد من ملتان الشيخ عبد الله والشيخ عزيزالله وقاما بتعديلات في منهج التعليم، فضما إليه المطالع والمواقف في المنطق، وفي فن البلاغة المطول والمختصر، وفي النحو شرح ملاجامي.

الدور الثالث:

قبل هذا الدور التغيير الذي حدث في الدور الثاني، فأريد رفع مستوى إلى أعلى منه، وكان قدوم فتح الله الشيرازي سببا كبيرا للتقدم في التعليم، فأجرى التعديلات في المنهج الدراسي التي قبلها العلماء، وكانت خدمات الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي جديرة بالذكر في هذ المجال.

ونبغ في هذا العصر الشيخ ولي الله(١١٧٦) ، وكان

كما ذكر العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي: إن درس الصحاح الستة وتدريسها في الهند مدين كليا لخدمته، ويرجع أصله إلى عهده، وقد بذل الشيخ ولي الله وخلفه الصالحون البررة حياتهم كلها في خدمة هذا العلم ونشره[1]

الدور الرابع :

هذا الدور يبدأ من القرن الثاني عشر الهجري، وقد أعد منهجه الشيخ نظام الدين بقوة وعزم وهمة، فهو كما قال العلامة الندوي:"ففاق جميع المناهج وقهر الألباب فلم يناهضه منهج آخر، ولا يزال بقوته وجاذبيته، ولم ينقص منه شيئ، هذا الحكم كان قبل خمسين سنة، وقد قادت ندوة العلماء حركة تغيير المناهج الدراسية وتكللت جهود القائمين بها بالنجاح، وأخذت المعاهد تعيد النظر في معاهدها الدراسية، وتجري تعديلات جوهرية فيها[2]

فكان في النحو نحو مير، وشرح مأة عامل، وهداية النحو، والكافية وشرح الجامي وفي البلاغة: مختصر المعاني والمطول وما أنا قلت.

وفي الصرف ميزان منشعب، وصرف مير، ، وبنج كنج، وزبده، وفصول أكبرى والشافية وفي اللغة والأدب المقامات الحريرية.

ثم تطور المنهج الدراسي، فكان في الأدب نفحة اليمن، والمعلقات السبع، وديوان المتنبي، ومقامات الحريري، وديوان الحماسة، وفي الصرف ميزان منشعب، وبنج كنج، وزبده والميبذي، وصرف مير، وفصول أكبرى، والشافية، وفي النحو

١- المسلمون في الهند ص٨٧- للعلامة الندوي.
٢- المسلمون في الهند ص٨٨للعلامة الندوي

نحو مير، وشرح مأة عامل، وهداية النحو، والكافية، وشرح ملا، وفي البلاغة مختصر المعاني، والمطول، وما أنا قلت.

منهج التعليم لدار العلوم ديوبند والمدارس التابعة لها:

كان منهج التعليم لدار العلوم ديوبند التي سبق ذكرها مشتملا على ثماني سنوات فكانت تدرس فيه المواد التالية: الأدب ، القواعد ، البلاغة ، الفقه الإسلامي ، اصول ا لفقه الإسلامي ، علم الفرائض ، الجبراء والهندسة ، وعلم الكلام ، وفن التفسير ،

إذا لخصنا كتب اللغة والأدب في هذه السنوات الثماني فوجدنا نفحة اليمن ومقامات الحريري وديوان المتنبي والمعلقات السبع، كان جل اعتماد مؤسسي هذا النظام على حفظ المفردات العربية وحل اللغات وشرح مواضع الاستشهاد في النحو والصرف، فليس هناك عناية بمواضع الجمال والتطبيق العملي.

وكانت مدرسة مظاهر علوم تابعة لدار العلوم ديوبند في هذا المنهج التعليمي رغم أنه كان يوجد هنا بعض شعراء العربية مثل فيض الحسن السهارنفوري الذي ذاع صيته في تذوقه بالعربية تأليفا وشعرا وكتابة وأدبا.

ندوة العلماء وإصلاح المنهج التعليمي :

ثم قامت بفضل الله تعالى وعونه ندوة العلماء حركة تعليمة توجيهية فجعلت ضمن أهدافها الأساسية اصلاح المنهج التعليمي العقيم وقد أصابت المحز حينما عقدت ندوات ومؤتمرات وجلسات تعليمية كثيرة، حتى تكون اتجاه لإصلاح المنهج التعليمي، فأخرجت منهاج الدراسة كتب الفلسفة والمنطق التي لا حاجة إليها في هذا العصر الجديد، وزادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها لأن اللغة العربية والأدب العربي مفتاح كنوز

الكتاب والسنة

عناية ندوة العلماء بالعربية :

يقول أستاذنا الكبير العلاّمة السيد أبي الحسن على الحسني الندوي بن مؤرخ الهند الاسلامي الكبير العلاّمة الشريف السيد عبدالحي الحسني وهو يتحدث عما وجدت اللغة العربية من الاعتبار إثر تأسيس دارالعلوم جامعة ندوة العلماء :

" عنيت دارالعلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم - الرسالة الخالدة - وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل ، وعنيت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه ، و وجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حيّة من لغات البشر يُكتب بها ويُخطب ، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسفار كما كان الشأن في الهند "[١]

خطوة ثورية تقوم بها ندوة العلماء في مجال اللغة :

قام رجال ندوة العلماء وأبناؤها قبل الجميع بهذه الخطوة التورية التي كانت تعتبر بدعة لدى كثير من الناس وركزوا على هذه النقطه تركيزا قويا و وضعوا منهجاً جديداً للتعليم الديني وجعلوا اللغة العربية هي لغة تدريس المواد العلمية وخاصة أنقذوا الأدب العربي من ذلك الحصار الضيق الذي كان محبوسا فيه بين " المقامات الحريرية " و" نفحة اليمن والعرب " و" ديوان المتنبي " إنهم أخرجوه لأول مرة إلى الجوّ الواسع حيث تنفس الصعداء ونال مجالا واسعا جدا للتطور والتقدم والتوسع ، فخرج من أساليب السجع والقوا في و التصنيع المشين إلى أسلوب طبعي أصيل ، ودخل في جميع أصناف العلم والفن ، وعرف

١- المسلمون في الهند ١٢٧.

الناس أن الأدب العربي ليس كما كانوا يزعمون محصورا بين عدة كتب لا يمكن أن يتجاوزها إلى غيرها من الشئون الحيوية والثقافات المتنوعة ، وأن اللغة العربية أصعب اللغات لا يمكن التكلم بها والتعبير بها عن ذوات الصدور .

لقد كان لهذه الخطوة الثورية في مجال تعليم اللغة العربية دوي في جميع الأوساط العلمية والأدبية ، أرغم رجال التعليم والتربية في المراكز والمدارس الاسلامية على التفكير في هذا الموضوع والانتفاع بالتجربة الجديدة التي قامت بها ندوة العلماء .

وعكف رجال ندوة العلماء بغاية من الصبر والعزم الأكيد رغم مخالفات ظهرت في ذلك الوقت من بعض الجهات على تمثيل الأدب العربي في جميع مجالات العلم والثقافة ، فدأب في صمت مديرها الكبير العلاّمة السيد عبد الحي الحسني " رحمه الله " المتوفى عام (١٣٤١- ١٩٢٣) الذي عُرف فيما بعد بمؤرخ الهند الاسلامي الكبير، على تأليف تاريخ الهند برجالها وأعيانها وعهودها الاسلامية وثقافتها وحضارتها ومراكزها العلمية وآثارها التاريخية ، وألف من غير أن يقوم بأي دعاية ، تاريخ الهند الاسلامي الواسع باللغة العربية الذي غطي آلاف الصفحات، وذلك كأول خطوة في مجال بعث اللغة العربية والاعتناء بها وتحيقيقا للثورة الأدبية التي نادى بها علماء ندوة العلماء ورجالها والمسئولون عنها ، وأداءاً للواجب الذي يعود عليه كأكبر مسئول لندوة العلماء في زمنه .

يقول نجله الكريم سماحة العلامة الأستاذ أبي الحسن علي الندوي في مقدمة المجلد الثامن لكتاب والده العظيم الذي عرف في المكتبة الاسلامية الضخمة باسم" نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" .

" وقد كان من سموهمته وطموحه وألمعيته وبعد نظره أن يوثر اللغة العربية لتأليف هذا الكتاب وقد بلغت منتهى الضعف والركاكة في عصره بضعف الكتب التي كانت مقررة في المنهج الدراسي والانشاء المسجوع التقليدي الذي كان سائدا في الهند منذ قرون"[١].

اتجهت الأنظار في ذلك الوقت إلى ندوة العلماء التي نالت اعتبار أهل الهند في الآداب العربية بوجه خاص ، وعقدوا بها آمالا كبيرة في إحياء اللغة العربية حتي عرفت بميزتها الأدبية في الأوساط العلمية والأدبية ، ولكن ذلك وحده لم يكن يكفي لتحقيق تلك الثورة الأدبية التي قادتها ، وإقناع الطبقات المختلفة من أهل العلم والثقافة والدين بأن الأدب العربي يستطيع أن يسع آفاق الحياة ويغطي مرافق الناس ويعبر عن دقات الجنان ، ونبضات الزمان و تطورات الانسان .

أدباء العرب في ندوة العلماء ومؤلفاتهم الشهيرة :

فاتجهت عناية رجال الندوة بعد العلامة الشريف عبد الحي الحسني - رحمه الله - وعلي رأسهم سماحة العلامة السيد سليمان الندوي صاحب السيرة النبوية وسعادة الدكتور العلامة عبدالعلي الحسني مدير ندوة العلماء في ذلك الوقت ، إلى توسعة نطاق اللغة العربية وأدبها عن طريق الكتابة والخطابة والصحافة عدا التأليف والتدريس ، فاستدعوا لهذا الغرض أدباء بارعين من أهل العرب كالدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، والشيخ محمد بن حسين الخزرجي اليماني ، والشيخ محمد طيب المكي، والأستاذ محمد العربي الهلالي ، وكان اجتماع أمثال هولآء

١- مقدمة نزهة الخواطر ج/ ٨ ص /٥ الطبعة القديمة .

الأدباء العرب حدثاً تاريخياً عظيماً في ذلك الوقت ، انطلق منه اتجاه جديد ، وهبت رياح الأدب العربي في الهند كلها .

أنجبت هولآء الاساتذة العرب بمساعدة رجال الندوة جيلا من تلاميذ بارعين أتقنوا اللغة العربية كتابة وخطابة ودراسة وتذوقوا الأدب العربي حيث إنهم فاقوا بعض الاحيان أدباء العرب في صدق اللهجة وجمال التعبير ورصانة البيان ونضوج الاسلوب ، الأمر الذي أقرّ به العلماء والأدباء في البلاد العربية ، ويجدر بالذكر ، منهم الشيخ أبوالحسن علي الندوي ، وأديب العربية الكبير الاستاذ مسعود عالم الندوي ، والاستاذ محمد ناظم الندوي ، والاستاذ عبدالرحمن الكاشغري ، وغيرهم من العلماء والأدباء .

إن العلامة السيد سليمان الندوي الذي هو أبرز خريجي ندوة العلماء قد أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته : دروس الأدب واللغات الجديدة ، ثم واصل هذه المسيرة العلمية العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي فألف سلسلة كتاب "قصص النبيين للأطفال" في خمسة أجزاء ، والقراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية في ثلاثة أجزاء ، ومختارات من أدب العرب في جزئين ، وألف سعادة الأستاذ الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي منثورات من أدب العرب ، وسعد هذا العاجز كاتب هذه السطور بتأليف كتاب في فن الصرف باسم : علم التصريف ، ثم هناك عشرات الكتب ألفت في هذا الموضوع :

١. أساس اللغة العربية للدكتور عبد الله عباس الندوي .
٢. التعبير والمحادثة العربية للدكتور محمد اجتباء الندوي .
٣. اللغة العربية الوظيفية للدكتور شفيق أحمد الندوي وزملائه.
٤. لغتنا العربية الشيخ عبد المقيت قاضيا الندوي .
٥. دروس الأشياء للأستاذ محبوب الرحمن الندوي الأزهري .

٦. معلم الإنشاء في جزئين للشيخ عبد الماجد الندوي .
٧. والجزء الثالث للشيخ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي .
٨. تمرين النحو ، وتمرين الصرف ، النحو الميسر، كلها لتعليم اللغة العربية .

ندوة العلماء في مجال الصحافة العربية :

أما الصحافة العربية في الهند وإن كانت في مؤخر الركب الصحافي في هذه البلاد بالنسبة إلى صحافة اللغات الأخرى كالهندية والإنجليزية والأردية ، ولكنها كانت محببة لدى المسلمين الذين كانوا يرون إلى اللغة العربية نظرة يملؤها إعجاب وتقدير و هيبة و تقديس ، لا يستطيع كل من درس اللغة العربية أن يتجرأ على تأسيس صحافة عربية من غير إعدادات مسبقة في هذا المجال ، ذلك كالتدريب على العلم و الأدب و الصحافة و إنشاء جو ملائم يستسيغ مثل هذه الصحافة و هذه الخطوة الجريئة عدا الزاد المادي ، فلا عجب مما إذا كان ركب الصحافة العربية في هذه البلاد مسبوقا ولاحقا ولم تبرز هذه الصحافة إلى منصة الوجود إلا برهة من الزمان ولم تزدهر الصحافة العربية إلا في القرن التاسع عشر الميلادي .

مجلة الضياء :

مجلة " الضياء " الشهرية أصدرتها ندوة العلماء في بدء الثلاثينيات من القرن العشرين ، وذلك عندما رأى المسؤلون عنها أن مهمة رفع مستوى اللغة العربية واعتبارها لغة حية إنما هي حاجة أكيدة للبلاد ، وإن هذه الحاجة لا تتحقق إلا بتعريف الصحافة العربية وتعميمها في جو المدارس الإسلامية، فكان صدور مجلة " الضياء " كلسان حال لندوة العلماء تحقيقا لهذا الغرض وسدا لهذا الفراغ ، رغم أن الحالة الفكرية والاقتصادية

العامة في البلاد لم تكن تسمح بهذه الخدمة الكبيرة إلا أن رجال ندوة العلماء لم يرضوا بتأخير هذه العملية الصحافية باللغة العربية في هذه البلاد ، نظراً إلى أنها تتضمن أهداف ندوة العلماء ، وهنالك اتفقوا على إصدار هذه المجلة تحت إشراف العلامة الكبير الدكتور السيد سليمان الندوي[١] والأستاذ الكبيرالعلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي[٢] وكان رئيس تحرير المجلة الأستاذ العلاّمة مسعود عالم الندوي[٣] فظهر العدد الأول في شهر مايو عام ١٩٣٢م الموافق محرم الحرام عام ١٣٥١هـ وأحرز في مدة قليلة ثقة العلماء وقبولا حسنا لدى الشعب ، لفصاحة لغتها وصحة تعبيرها وموادها الدسمة وموضوعاتها الشيقة .

١- العلاّمة المفسر ، والمحدث البارع ، والمؤرخ الأمين، والقائد الحكيم ، ولد عام : ١٨٨٤م – وتوفي عام :١٩٥٣م .

٢- العلاّمة العبقري ، والأديب العملاق تقي الدين المغربي ، أقام في دارالعلوم ندوة العلماء ثلاث سنوات ، ثم ذهب إلى العراق سنة ١٣٥٢هـ ، وسكن هناك إلى مدة .

٣- الشيخ الأديب مسعود عالم الندوي ولد في ٢١/ من محرم الحرام سنة ١٣٢٨هـ، تلمذ على العلاّمة السيد سليمان الندوي ، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي ، وتخرج من جامعة ندوة العلماء لكناؤ ، كان رئيس تحرير مجلة الضياء وقت صدورها ، وشارك في هيئة التدريس بجريدة "مدينة" بجنور ، وهاجر إلى باكستان فأسس دارالعروبة للدعوة الإسلامية ، له مؤلفات باللغتين الأردية والعربية ، وتوفي عام ١٩٥٤. بكراتشي باكستان .

صدرت " الضياء " وذاع صيتها وانتشر ذكرها ونالت في البلاد رواجا لائقا وحظوة طيبة لابأس بها ، وهي التي عرفت مسلمي الهند إلى العالم العربي تعريفا صحيحا ، وهي التي نفت عن قلوب العرب ظنهم الخاطئ عن مسلمي الهند في اللغة العربية وآدابها حتى اضطرّ علماء العرب وأدباؤهم إلى مدح علماء الهند والثناء على اطلاعهم الواسع على اللغة العربية أدباً وفناً واعترفوا بفضلهم في هذة الناحية يتحدث العلامة السيد سليمان الندوي في افتتاحية أول عدد صدر لمجلة " الضياء" عن الأسباب التي دعتهم إلى إصدار مثل هذه المجلة فيقول :

" هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها و إن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها ، وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها وكبارها ، وطلبة العربية فيها نحو مأة ألف أو يزيدون .....وعلى ذلك ما يؤلمنا ذكره ويشوكنا نشره أن هؤلآء الجم الغفير والعدد الوفير أكثرهم بُكم عن التكلم باللغة العربية ، ولهم عي عن الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة فضلا عن الخطابة فيها مرتجلين ، وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة من الفقه أو أبحاث سمجة في المنطق تمجها الآذان ، ولا تسمن ولا تغني من جوع العلم ، وتنبو طباعهم عما تنشره الصحف والمجلات الأردوية ، فلا يقرؤونها فيحرمون من حظ وافر من العلم الذي يتزايد أمره كل يوم ، وينمو شأنه كل صباح ومساء ، وزادك أسفاً لو رأيت مناهج دروسهم العقيمة وما فيها من الكتب القيمة ذات الأساليب الرميمة .

وأول من تنبه لسد هذا الخلل ، وملافاة هذا الخطأ دار

العلوم التي أسسها ندوة العلماء بلكناؤ ، فأفرغت جهدها في تعليم اللغة العربية قديمها وحديثها كتابةً وخطابةً ، وزادت في قائمة درسها كتب الأدباء المجيدين ، من السلف الكرام المجيدين الذين كتبهم ينبوع الأدب ، ومادة لغة العرب ، مثل مصنفات ابن قتيبة الدينوري ، وعبد القاهر الجرجاني ، وقدامة بن جعفر البغدادي ، و أبي هلال العسكري ، والجاحظ البصري ، واستبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين المتأخرين بعد القرن الرابع .

ثم وضعت كتب ابتدائية لدرس المبتدئين وألفت معجماً جديداً يضمن شرح الكلمات الدخيلة والمعربة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية ، وعنيت معلماً خاصاً لتعليم اللغة الحديثة فيها وآثرات لتعليم الآداب العربية رجالا معرفين من العرب أنفسهم لكون اللغة لهم طبعاً وذوقاً ، ولناً تكلفاً وتتمقاً ، فأسندت أولا رئاسة أساتذة اللغة العربية إلى الأستاذ العلامة الشيخ محمد طيب المكي ، ثم إلى الأستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخزرجي اليماني - رحمه الله - و أخيراً يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي [١]

وقد كان لمسعاها دوي في سائر أندية المدارس العربية ،

---

١ - وقد رأس منصب الأديب الأول في فترات مختلفة ، فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجرامي وسماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وفضيلة الشيخ عبدالله عباس الندوي ، وسعادة الأستاذ الجليل الأديب البارع محمد الرابع الحسني الندوي ، وكاتب هذه السطور سعيد الأعظمي وفضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، ويرأس الآن عمادة كلية اللغة العربية الأستاذ نذرالحفيظ الندوي الأزهري

وأخذت تبذل ما فس وسعها من الجهود في مباراتها ، والحق أحق أن يقال : إنه بعد ما تملك صديقنا العزيز ورفيقنا في طلب العلم ورديفنا في تلقي الدروس و شريكنا في الشيوخ و أولنا في الجمع بين علوم الشرق والغرب الشيخ ضياء الحسن العلوي الندوي زمام تفتيش المدارس العربية ورئاسة امتحاناتها في ولايتنا البلاد المتحدة صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها في العلوم الشرقية طور آخر ودور زاه زاهر ، فإنه أدخل فيها تعديلات نافعة واتخذ لاصلاح أمرها تدبيرات ناجعة فجعلها منسقة النظم ومتحدة النظام ، وانتقى لها مناهج درس وقوائم كتب تضمن بالنجاح وتؤذن بالفلاح ، وجعل فيها لأدب العرب محلا يليق به ، وألزم متعلمي المدارس العربية الكتابة وإنشاء المقالات بالعربية .

وكذلك فعلت رئاسة المدارس العربية في ولاية " بنجاب " فجعلت الكتابة والانشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية التي لا غنى عنها لطالب .

وتلتها الجوامع الإنكليزية الرسمية ، فإنها أدخلت تحسينات نافعة في فرعها العربي بأيدي أساتذة فضلاء دكاترة في العلوم العربية نالوا شهادة الدكتورية من جوامع ألمانيا و إنكلترة ، ولهم يد بيضاء في استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة ، وقد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال ، ولجامعتي " لاهور " و " دهاكه " خطوة في هذا السبيل بعيدة الشوط ، وتبعتهما جوامع " إله آباد " و "لكناؤ " و " بتنه " و " كلكته " واهتمت بها من المعاهد العربية التي هي للحكومة ، والكلية الشرقية بـ" لاهو ر" و مدرسة شمس الهدى بـ" بتنه " والمدرسة العالية بـ"كلكته " .

وأشد الجوامع الإنكليزية اعتناء باللغة العربية جامعة "

دهاكة "فانها خصصت لها قائمة درس تدرس فيها اللغة العربية وعلومها مع بعض العلوم الجديدة واللغة الإنكليزية ، وتمنح الناجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول في كل ما يمكن الدخول للناجحين في العلوم الإنكليزية المحضة من الوظائف والمناصب ، أما جامعتنا الإسلامية بـ" علي كراه " فأرادت أن تقتفي أثر جامعة " دهاكة " في جعل العلوم العربية وآدابها فرعاً لها خاصاً فقررت لجنة لتحقيق أمنيتها ونيل يغيتها ، وعسى أن يأتي بأثر يُذكر وعمل يُشكر ، وأما الجامعة العثمانية بـ" حيدرآباد " الدكن فهي أكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربي وأشدها اهتماماً بأمره وإكراماً للناجحين في علومه وآدابه ، وأسخاها منحاً بالمناصب والوظائف لهم [١]

مجلة البعث الإسلامي في ندوة العلماء ، لكناؤ :

رغم أن مجلة الضياء تحجبت وانقطعت عن الصدور ولكنها تركت آثارا باهرة في مجال الصحافة العربية ونشرت مقالات هادفة أصبحت ضمن التاريخ الصحافي العربي في هذه البلاد وهكذا مثلت مجلة الضياء دورا عظيما في أوساط المدارس الإسلامية و دور التعليم و التربية حيث كان الناس يتوقعون إصدار بديل لها من ندوة العلماء نفسها ، سواء في داخل الهند أو في خارجها ، ذاك أن مجلة الضياء كانت قد مهدت الطريق لوصول صوتها إلى الأقطار العربية والأدباء العرب الذين كانوا يشيدون بلغتها وأسلوبها ويرونها بنظرة الإعجاب والتقدير حتى قال بعضهم إن مجلة الضياء أصح لغة وأروع أسلوباً من أكثر الجرائد والمجلات التي تُنشر في الأقطار العربية ، وبعد

---

١ - افتتاحية العدد السنة الأولى لمجلة "الضياء" المحرم ١٣٥١ مايو ١٩٣٢

فترة تمتد على تسعة عشر عاماً ، استأنفت الصحافة العربية سيرها في ندوة العلماء ، وقدر الله سبحانة وتعالى أن يطلع من أفق الندوة مجلة شهرية باسم مجلة " البعث الإسلامي " :

أما المجلة فكان من أهدافها :

(١) رفع مستوى اللغة العربية والأدب العربي في الهند .

(٢) توثيق الصلات الأدبية والثقافية بين المدارس في الهند .

(٣) إنشاء روابط ثقافية بين طلاب المدارس العربية و شباب العالم العربي .

(٤) توجيهات رشيدة للطلبة في الدراسة والتعليم .

(٥) بعث الروح الإسلامية والأدبية في الشباب .

نظرة على قائمة المحتويات للعدد الأول :

(١) أهدافنا : بقلم رئيس التحرير .

(٢) الكتب التي عشت فيها : سماحة الأستاذ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي .

(٣) الأدب قوة: بقلم الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي.

(٤) السيد أحمد الشهيد : بقلم الأستاذ محمد راشد الندوي .

(٥) الشاعر محمد اقبال يناجي العرب ، بقلم سعيد الأعظمي .

(٦) قرأت لك :- حسن البنا .

(٧) ندوة البعث .

يقول أول رئيس تحرير المجلة :

"وستحاول مجلة " البعث " أن تكون نقطة اتصال وهمزة وصل بين الهند والبلاد العربية الشقيقة ، تحمل رسالة أبناء الهند إلى إخوانهم في الشرق العربي وتحمل تمنيات أبناء البلاد العربية وعواطفهم الطيبة نحو إخوانهم في الهند ، وتبحث عن الأوجاع المشتركة بين البلاد .

(والثالثة) أنها تجمع شباب المدارس الدينية بالهند في سلك واحد ، إن في الهند لقوة هائلة ، ولكنها كامنة تحت الرماد ، ويمكن أن تأتي بمعجزة إذا استغلت استغلالا صحيحا و وجهت توجيها راشدا ، هذه القوة هم طلبة المدارس الدينية في الهند المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، وهم على علاتهم وضعفهم لوعرفوا الغاية و وجدوا القيادة وتمسكوا بالوحدة ، نفخوا روحا جديدة في المدارس ، وغيروا أخيرا وجه المجتمع .

نريد أن نخرج الطلبة من جدران المدرسة المحصورة إلى أفق أرحب وأوسع ليروا هذه الدنيا القذرة الجريحة التي يحكمها الظلم والظلام ، ويعرفوا مسئوليتهم نحو هذا المجتمع الحائر ، ورسالتهم إلى الإنسانية المعذبة ، وهذا المهم يطلب أمرين :

الأول : جمع القلوب الواعية والعقول المفكرة و المواهب الخفية للشباب وهي مطمورة كالبذور تحت التراب، ومنتشرة في أماكن مختلفة من البلاد ، قد أغفلتها العيون وأهملها الباحثون.

الثاني : توجيه هذه القوة توجيهاً صحيحاً ، و إعدادها إعدادا كاملا وتثقيفها ثقافة واسعة على أساس الإسلام وفي سبيل الإسلام .

هذه هي أهداف " البعث الإسلامي " في كلمة موجزة، إنها أهداف سامية تطلب جهودا ضخمة ، وتطلب الثبات بالعصبة أولي القوة ، ولا بد لكل طالب وشاب أن يعرف دوره في هذه المهمة ويساهم فيها بحماسة وإخلاص ، ويعمل في محيطه لبث هذه الفكرة بين الطلبة والشباب ونحن على يقين أن الجو ملائم والتربة صالحة ، ويمكن أن تأتي بحاصل كبير إذا تندت قليلا ، فاسقها من زمزم وبما شئت من دمع ودم، هكذا قال شاعر الإسلام محمد إقبال . وكلمة أخيرة :

لقد حاولنا كثيرا أن نصدرهذه المجلة مطبوعة على الحروف الحديدية ، ولكن بعض الظروف القاسية قد حالت دون ذلك ، وسنبذل كل ما نملك من الإمكانيات والوسائل أن نقدم الأعداد المقبلة على الحروف العربية الجميلة ، والأمر بيد الله وهو المستعان[١]"

هذه هي الأمنية التي راودت حول هذه المجلة نفس أخينا وصديقنا الكريم فضيلة الأستاذ السيد محمد الحسني ، " رحمه الله " إنما تحققت في وقت مبكر من غير أن يطول الانتظار ، ونحمد الله سبحانه وتعالى حمدا يعجز عنه اللسان على ما أكرم به القائمين على هذه المجلة الذين ليسوا إلا صورة واقعية للإخلاص الكامل من توفيق شامل لتحسين هذه المجلة مخبراً ومظهراً وتحريراً وطباعةً فقد تجاوزت سنها نصف قرن من الزمان وتجتاز الآن عامها السادس والخمسين ، فالحمد لله على ذلك وعلى منه وفضله وكرمه وقدرته .

هذه المجلة تتميز بالجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين الجمع بالعلم الواسع والإيمان الراسخ ، وهي تعتمد على الدعوة الإسلامية وعرضها على جميع الطبقات المتعلمة في جميع أنحاء العالم ، ذاك أنها قائمة بأهداف غالية في مجالات العلم والدعوة والفكر والأدب ، ولولا أن هذه المجلة كانت لسان حال الدعوة الإسلامية ، وحاملة لرسالة ندوة العلماء في جميع أنحاء العالم بكامل الإخلاص و التوخي لمرضاة الله تبارك وتعالى لما رزقت هذه المدة الطويلة من عمرها باستمرارية ، و لعل السر في هذا الواقع إنما هو الدعاء الخالص لامتداد منافعها ، دعاء سماحة

---

١ - البعث الإسلامي ، العدد الأول ربيع الأول ١٣٧٥هـ

شيخنا الإمام الشيخ السيد العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي يرحمه الله ، فقد كان يسر بهذه المجهودات الصحافية باللغة العربية التي كان يبذلها تلاميذه وأبناؤه ، وكان معجباً بها لما كان يرى فيها من صدق القول وجمال التعبير ورصانة الأسلوب ، وقد كان دعاؤه حافزا على استمرارية المجلة ونفعها في مجال الدعوة إلى الله والعلم والدين والأدب، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يمد في عمرها باقية على طريقها المعلوم و دربها المسلوك وأن تكون ترجماناً لرسالة المدارس الإسلامية وفي مقدمتها جامعة ندوة العلماء وأن تمهد الطريق نحو تعلم اللغة العربية كلغة حية نامية ، لا كلغة ميتة دارسة .

صحيفة الرائد :

وهي جريدة نصف شهرية ، ونستأنف الآن السير إلى رحاب ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها في عام تسعة وخمسين وتسع مأة وألف ، وفي نفس هذا العام في شهر يوليو صدرت جريدة الرائد نصف شهرية ، نظرا إلى حاجة طلاب دارالعلوم الذين كانوا في مراحل النمو ، وكانوا مقبلين على تعلم اللغة العربية وإتقانها كتابة وخطابة ، فكانوا لابد لهم من صحيفة تكون لهم بمنزلة معلم أومدرسة تشرف على عملهم الأدبي وعلى مدى تعلمهم هذه اللغة الشريفة وأداء دورها في الحياة والمجتمع .

أما الأهداف التي سجلت وراء إصدار هذه الصحيفة و الأسباب التي كانت تدعو إلى ذلك فلنستوحيها من خلال ماكتبه رئيس تحرير الجريدة في أول عدد " صدر في شهر يوليو لعام تسعة وخمسين وتسع مأة وألف " سعادة الأديب الكبير رئيس قسم اللغة العربية يوم ذاك ، سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم.

كلمة رئيس التحرير الأول وقت صدورها

" الحمد لله بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد " فهذا أول عدد من صحيفة النادي العربي عزمنا على إصدارها لتكون عونا أدبيا ومساعدا في الملكة الكتابية لأعضاء النادي الأعزة ، وهم كما يعرف الجميع طلبة دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ممن يدرسون اللغة العربية وينهلون من مناهل علومها وآدابها الغزيرة .

أصدرناها لا لنفع مادي ولا لمسايرة ركب الحضارة ولا للاستجابة لمطالب الزمن فحسب ، بل إنما لتكون غذاء للعقول و مددا للأقلام وحافزا للقرايح في دارعلومنا هذه .

ماكنا نتوقع عند إصدار هذه الجريدة أنها تستقبل من الطلاب و العلماء هذا الاستقبال الرائع الذي حصل لهم حين صدورها ، وذلك من فضل الله علينا ونعمته ، فقد كنا خطونا هذه الخطوة متوكلين على الله دون أن نعول على قوة أخرى .

وبعد أن رأينا أن الطلاب والعلماء استحسنوا هذه الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها النادي العربي تحت إشراف دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، ورجوا لها نجاحا باهرا ، أردنا أن نستمر فيما عزمنا عليه من تنويع أبواب الجريدة وتسهيل عباراتها و ألفاظها و تحسين أساليبها ومعانيها حتى تنتخب الجريدة إلى القراء أكثر من ذي قبل ، ويعظم نفعها في أوساط مختلفة ، وقد يرى القراء في هذا العدد سمة من ذلك ، فقد أدخلنا في محتويات الجريدة بابا جديدا لطلبة الصفوف السفلى خاصة بعنوان "ركن الأطفال " يشرف عليه أو يكتبه الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ، ويعتني فيه بتقديم المعاني النافعة في عبارات سهلة وأسلوب سهل مفهوم ، عند المتعلمين البدائيين حتى

يستوي جميع الطلبة في الانتفاع بهذه الجريدة والمساهمة فيها ، كما أننا نحافظ على أن يقدم للقراء بعض أقوى الخطب لشخصيات إسلامية كبرى يسجلها أو يعربها الطلبة أنفسهم ، وقد يرى القراء أيضا أن هذا العدد يتضمن بوجه عام ما كتبته أقلام الطلبة وليس فيه لغيرهم إلا القليل والمفيد"[١].

صدرت الرائد في عام ١٩٥٩م ، ولا تزال تصدر مرتين في الشهر بانتظام واستمرارية يرأس تحريرها الآن فضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الندوي ، من كبار أساتذة اللغة العربية وآدابها ، وعميدها إلى مدة لا بأس بها ، وقد يحل الآن منصب رئيس الشئوون التعلمية لندوة العلماء ، وله براعة كبيرة في مجال الصحافة العربية وتجربة فريدة فيها منذ مدة طويلة ، لا يدانيه في ذلك أحد في الهند اليوم ،

هذه بعض إشارات إلى إنجازات ندوة العلماء في مجال اللغة العربية ، أما خدماتها في هذا المجال فهي تحتاج إلى أسفار ومجلدات ، ولا شك أن ندوة العلماء قد أنشأت ذوق اللغة العربية في شبه القارة الهندية ونشرتها كلغة حية نامية وجعلتها لغة المحافل والمجالس ، وقد كانت من قبل في هذه المنطقة لغة الكتب المنهجية فقط ، ليس غير

تعليم اللغة العربية في الهند: مشكلاتها وتطلعاتها:

كيف ينبغي أن تدرس اللغة العربية لتلاميذنا وأبنائنا، وما هي طريقة تدريسها في بلدنا الهند بصفة خاصة فيمكن أن نلخص أولاً أهداف تعلم اللغة العربية لدى الطالب المسلم الهندي فيما يأتي من نقاط :

---

١ - صحيفة الرائد ، العدد الأول عام تسعة وخمسين وتسع مأة وألف .

أهداف اللغة العربية :

١. تعلم اللغة العربية والتحمس لها والاعتزاز بها باعتبارها لغة الدين الإسلامي ، وعنصراً قوياً من عناصر تكوين شخصية المسلم ، وباعتبار أنها من مقومات الوحدة الإسلامية .

٢. الغيرة على أمجاد التاريخ الإسلامي والتعلق بها عن عقيدة وإيمان ، والفخر بأن أصحاب المجد الإسلامي إنما كانت لغتهم اللغة العربية ، فلابد من تقليدهم واتباع خطواتهم في هذا المجال .

٣. الحرص الشديد على الاتصال القوي المباشر بمنابع الدين والفكر الإسلامي ، والاطلاع على حقائق الدين والعقيدة الإسلامية كما هي مشروحة موجودة في الكتاب والسنة ، وذلك لا يتحقق إلا بتعلم اللغة العربية .

وينبغي أن لا يتصدى لتعليم اللغة العربية من المدرسين إلا من كان يحمل الكفاءات التالية :

١. أن يكون ذا قدرات لغوية بوجه خاص ، وخبرات تدريسية في هذا المجال بالذات ، كأن يكون قادراً على أداء الفكرة بوضوح وطلاقة ، وقادراً على تطويع اللغة لمستويات الأطفال ، وعلى حسن الإلقاء والأداء وعلى صياغة الأسئلة التي تناسب سن الطفل وبيئته .

٢. أن يكون لديه إلمام كاف بطريق تعليم القراءة والكتابة وخاصة للمبتدئين مع الإتقان الكافي لقواعد النحو .

٣. أن يكون عنده قدرة تامة على تعليم اللغة بنفس اللغة لا بالترجمة والنقل ، فإن تعليم اللغة العربية للطلاب الهنود بواسطة

الترجمة إلى اللغة الأردية يضر المبتدئين بوجه خاص، ويحول دون تعليم اللغة بطريق مباشر ، وما لهذه الطريقة من ضرر وعيب لا يخفى على أصحاب الخبرة .

ومما لاشك فيه أن اللغة العربية بوجه خاص قد دخلها من التطور والتوسع ما جعلها لغة عالمية ذات شأن كبير ، حتى لدى غير المسلمين الذين يحرصون كل الحرص على تعلمها وإتقانها ، وأن العوامل السياسية لتوطيد العلاقات بين الدول العربية وغيرها منحت اللغة العربية اتساعاً وتطوراً كبيراً ، وجعلتها تساير العالم المعاصر جنباً إلى جنب في جميع المجالات الدولية والمحافل العالمية ، الأمر الذي يحتم علينا نحن المسلمين أن لا نظن باللغة العربية عجزاً أو أنها لغة الدين الإسلامي فحسب ، ولكنها تجمع بين الحسنيين ، وتدر كلا الخيرين ، خير الدين وخير الدنيا ، وحسنى العلم وحسنى العقيدة ، وذلك واقع لا يسمح بغض العين عنه أو الحط من شأنه في أي حال .

وظيفة معلم اللغة العربية :

إن مدرس اللغة العربية يواجه أول ما يواجه من طلابه الابتدائيين أنهم لا يعرفون من اللغة شيئاً ما ، فيتناولهم بالتدريب على التعبير الشفوي ويعلمهم كلمة ، فيجب أن يسمع منهم معناها شفوياً ، والأفضل أن يفهموا اللغة ولا يلتجأوا إلى وسيلة أخرى ، من التعبير ، مثلاً إذا علمهم المعلم كلمة "رجل" وشرح لهم معنى هذه الكلمة فلا ينبغي أن يلتجئ التلميذ بشرح معناها إلى وسيلة أخرى بل يجب أن يكون قد فهم معنى الكلمة ، وإذا طلب منه بيان معناها أجاب بسرعة .

وفي هذه المرحلة يجب أن يقتصر المدرس على التعبير الشفوي فيتناول تلاميذه بتعليم كلمات يفسرها لهم باللغة التي يدرسها ، وينبغي أن يستفيد من الأمور التي فطر عليها الطفل ، وهي أنه يميل بطبيعته إلى التعبير عما يحسه أو يشاهده أو يتأثر به في نواحي النشاط التي يمارسها ، والمدرس البارع يتفطن في تلميذه لتلك النواحي فيختارها كموضوع للأسئلة أو أساس للتعليم ، كما أن التلميذ الصغير يميل فطرياً إلى الصور فيحسن استخدام الصور في تعليم اللغة ، لأنها تنطق بالمعاني التي يريد أن يفسرها لهم المدرس بشيء كثير من الصعوبة وهو يشير إلى الصدر ، ويسأل التلاميذ عن معناه ، وكذلك يحن التلميذ الصغير إلى الاستماع إلى القصص والحكايات ، وهي أحسن أداة لتعليم اللغة للمبتدئين ، وفيها من التعود على التعبير وفهم المعاني، ما يعرفه كل خبير ، وكذلك يجب أن يوجه المدرس أسئلة إلى تلميذه الصغير أثناء تعليم اللغة عن العمل المحبب لديه أو اللعب المفضل عنده ، ويسأله الجواب على ذلك ، أو يسأله أن يسرد عليه شيئاً من تفصيل العمل أو اللعب ، مهما أخطأ في التعبير ، فإن خطأ اليوم يكون صواب غد ، وهكذا . . . .

أساليب التعليم :

وبهذا الأسلوب من التعليم يستطيع المدرس أن ينمي ذخيرة الكلمات اللغوية المفردة لدى التلميذ ، وكلما كثرت عنده ذخيرة الكلمات المفردة وتوسع قاموس اللغات المفردة قويت قدرته على التعبير ، وانطلق لسانه بالقراءة ونشأت عنده ملكة التدرج من المفردات إلى الجمل ، وتحسنت مواقفه في تعلم اللغة

العربيـة ، ولتعويـد التلميـذ علـى هـذه الطريقـة في تعلـيم اللغـة وتدريبه على التقدم في هذا المجال يجب أن يتبع الأساليب الآتية::

١. وضـع قائمـة للمفـردات مـن الكلمـات واللغـات الـشائعة الاستعمال مع مراعاة مستوى الطالب الصغير الذي تكتب له القائمة ، أو مراعاة مستوى الفصل الذي توضع له القائمة ، يتدرج فيها يوماً لآخر حسب قدرات التلاميذ الصغار المدرسية والمنزلية ، ويطالب منهم أن يتمرنوا عليها ويتقنوها ويجعلوا منها جملاً صغيرة ، حتى إذا لمس فيهم التقدم والتسوغ يزيد القائمة إلى خمسين إلى مائة ، إلى مائتي كلمة ، وثلاث مائة وأربع مائة وخمس مائة ، طبقاً لحاجات التلاميذ ومراعاةً لظروفهم التعليمية :

٢. الانتقال من وضع قوائم للمفردات إلى وضع قوائم للجمل التامة المناسبة لكفاءات التلاميذ ومستواهم ، وتكليف التلاميذ صناعة الجمل من الكلمات المفردة التي ادخروها من قبل ، ومن الجمل الصغيرة إلى الجمل الطويلة وذوات الكلمات العديدة ، ثم إلى وضع كلام وجيز من تلك الجمل .

٣. تدريب التلاميذ الصغار على كتابة قصة من واقع الحياة الذي يعيشه، كأن يكتب عن يوم الجمعة مثلاً : كيف قضاه ، أو عن حديقة الحيوانات ماذا شاهد هناك ، وما أشبه ذلك .

طريقة التعليم :

هذا في مجال التعبير ، الكتابي ويمكن المدرس حسب تقديره للظروف وأسلوبه في التدريس واهتمامه بتنمية مواهب التلاميذ في نفس هذا المجال أن يتبع الطرق الآتية مثلاً :

١. يكلف تلاميذه بتكميل جملة ناقصة يعرفها عليهم ،

ويتدرج في إطالة الجملة وزيادة ملابساتها من كلمات ثلاث إلى كلمات خمس ، ست ، سبع ، ثمان ، تسع ، عشر، ذلك كأن يعرض عليهم جملة : جاء أحمد ، ويطلب منهم أن يزيدوها من كلمتين فتكون مثلاً جاء أحمد إلى بيتي ، ثم يطلب ا لزيادة فيها فتكون مثلاً جاء أحمد إلى بيتي ، وجلس على الكرسي ، ثم يطلب الزيادة فتكون الجملة مثلاً جاء أحمد إلى بيتي وجلس على الكرسي وتناول الشأي وزار والدي وسلّم عليه ، وهكذا يمكن الزيادة في الجملة الواحدة حتى تمتد إلى كلمة صغيرة .

٢. يوجه أسئلة عامة متعددة ، ويطلب منهم أن يردوا عليها بوضوح وينبغي أن تكون الأسئلة بحيث يمكن أن تكون أجوبة إذا ردها التلاميذ ، وأخرى يحتاج في الإجابة عنها إلى جهد عقلي.

٣. يملي عليهم جملاً تكون عناصر لقصة صغيرة ، ثم يطلب منهم أن يضعوا القصة ويستعملوا فيها تلك العناصر التي أملاها عليهم :

٤. يحكي للطلاب قصة صغيرة ثم يطلب منهم أن يكتبوها بتعبيرهم ولغتهم ، أو يملي عليهم مبدأ القصة ويطلب منهم أن يكملوها بأنفسهم .

٥. يطلب منهم ملء المواضع الشاغرة في كلام أو جمل ، وذلك في مجال التنمية اللغوية بحسب نظرته نحو مستوى الطلاب وأحوال البيئة وظروف المدرسة في المرحلة الابتدائية .

يؤخذ التلاميذ في هذه المرحلة التي أشرنا إلينا بتدريب القواعد النحوية البدائية وتطبيقها على تعبيراتهم منذ الابتداء ، فمثلاً الكلمة والكلام وأنواع الكلمة وأنواع الإعراب من الرفع

والنصب والجر والجزم ، ومتى تكون الكلمة مرفوعة ومنصوبة ومجرورة ومجزومة ، كل ذلك على مستوى بدائي من غير تفصيل أو تفسير ، ذلك أن يعرف التلميذ أن الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ، والمبتدأ مرفوع والخبر كذلك ، والمضاف إليه مجرور ، وما دخل عليه حرف من حروف الجار فهو مجرور، وباتساع التلميذ في المعرفة اللغوية والقدرة على التعبير يتسع في معرفة القواعد وتطبيقها على جمله وكلامه وتعبيراته :

قواعد العربية في تعليم اللغة :

ويجب أن لا يفوتنا في هذه المناسبة أن تدريس قواعد النحو بالنسبة للتلاميذ الصغار وسيلة من وسائل صحة التعبير ، فلابد من الاقتصار في مطالبة تطبيق القواعد النحوية على ما يحتاجون إليه في دراستهم الحاضرة من القواعد الضرورية لتقويم ألسنتهم وتصحيح أسلوبهم ، وتعبيراتهم وفهمهم مما يعرف عليهم من الأساليب فهماً صحيحاً ، أما ما زاد عن ذلك من مسائل النحو وقواعد اللغة فلا شأن للطلاب الصغار ولا ينبغي أن يشغلهم المعلم بما لا يحتاجون إليه، بل ويترك ذلك للذين يتخصصون في اللغة والنحو ، وقد يظن بعض المشتغلين بالتعليم أن تخصيص حصص التدريس النحو والقواعد نوع من العبث ومضيعة لوقت التلاميذ الثمين ، ووضع جهودهم في غير محلها ، ويزعمون أن الصحة في الكلام و الفصاحة في البيان إنما تتوقفان على السليقة والذوق ويزعمون كذلك أن تخصيص حصص لتعليم النحو والقواعد يوهم التلاميذ الصغار أن النحو غاية، وليس وسيلة ، فيحفظون القواعد من غير فهم ولا معرفة ويعرضون عن ناحية تطبيقها العملي ، ولكن أمامنا رأي لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في منهج النحو يبين لنا المنهج الوسط في تعليم النحو يقول:

"أما النحو فلا تشغل قلب الصبي إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام ، في كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به من رواية المثل السائر والخبر الصادق والتعبير البارع ، إنما يرغب في بلوغ غاية النحو ومجاوزة الاقتصار فيه من لا يحتاج إلى تعرف جسيمات الأمور ، وليس له حظ غيره ، ولا معاش سواه ، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ، ولا يضطر إليه في شيئ" (رسائل النحو للجاحظ) .

مشكلات في تعليم اللغة العربية :

وبهذه المواصفات الوجيزة التي شرحناها في هذا المقال حول تعليم اللغة العربية في الهند تتبين المشكلات التي نواجهها في مجال تعليم اللغة العربية في هذه البلاد ، ذلك أن المعلمين لهذه اللغة طالما لا تتوافر فيهم تلك الكفاءة المطلوبة في تعليم اللغة ، وأن المتعلمين لهذه اللغة لا يكونون مخلصين ، مجدين في تعلمها ، فقلما يبذلون مجهودات يتطلبها منهم تعلم هذه اللغة العزيزة ، وخاصة طلاب المدارس الإسلامية التي تسمى بالمدارس العربية ، لا يركزون على تعلم اللغة العربية اهتماماتهم ، بل ولا يعتنون أثناء التعليم ، وإنما يتبعون العادة التي ورثوها طالباً عن طالب .

أما قسم اللغة العربية الذي يوجد في الجامعات العصرية في الهند فهو أضعف قسم بالنسبة إلى الأقسام الأخرى لا ينال عناية المسئولين بما هو حقه ، وقد يهمل الأساتذة والمحاضرون في هذا القسم في أداء مسئولياتهم التعليمية ويتركون طلابهم لكي يعدوا للاختبار الأخير مستعينين بالمطالعة ومعتمدين على الشروح

والحواشي على أن اللغة العربية في الجامعات العالمية تستخدم لتدريس المواد الإنسانية وتنمية القوى العلمية .

صحوة جديدة نحو تعلم اللغة العربية :

ولكن اللغة العربية وآدابها بعدما أصبحت موضع اهتمام عالمي ، واعترفت الأوساط العلمية والسياسية في البلدان الأعجمية بقيمتها على المستوى الدولي ، أقبل شباب المدارس وطلاب الجامعات الإسلامية على الاعتناء بها ، وافتتاح قسم خاص باللغة العربية والأدب العربي فيها ، ذلك لكي يُخرجوا اللغة العربية من زوايا الخمول والانزواء إلى الساحة العملية الواسعة ، حيث تنفس الصعداء وتغطي الحياة بكاملها وتعبر عن جميع الشئون والأحداث ، وقد أنشئت في أنحاء مختلفة كليات لتعليم اللغة العربية كلغة حية نامية باقية ، كما صدرت صحف ومجلات باللغة العربية يتدرب عليها الشباب الكتابة والخطابة والحوار حول المواضيع الدينية ، وموضوعات الساعة ، يتجلى فيها الفكر السليم وتتجلى بالعرض الجميل، والموضوعية والواقعية .

ندوة العلماء ودورها في مجال تعليم اللغة العربية :

وقد أدركت ندوة العلماء في الهند سر اللغة العربية أول ما أدركت في نهاية القرن التاسع عشر في عام ١٨٩٣م حينما اتفقت جماعة من أهل العلم والغيرة والنظرة الثاقبة على تأسيس ندوة العلماء التي قررت تعليم اللغة العربية في الهند كلغة حية ، وقد أنشئت لتحقيق هذا الغرض جامعة إسلامية باسم "دار العلوم" التي كانت ملتقى علماء اللغة العربية من الهند والدول العربية ، ثم قاموا بتعليم اللغة العربية وأخرجوها من زوايا الخمول إلى ساحة الحياة ، وما هي إلا مدة قليلة إذ تخرج من هذه الجامعة

أفواج من علماء وأدباء اللغة العربية الذين مثلوها في جميع شئون العلم والأدب خطابةً وكتابةً وصحافةً وحواراً .

فكان ذلك خطوة جرئية في مجال تعليم اللغة العربية قامت بها جامعة ندوة العلماء وحطمت أحلام اليأس وسوء الظن باللغة العربية ، وأعادت إليها الحياة والنشاط في بلاد كانت اللغة العربية فيها محصورة بين الكتب الدينية وفي الشروح والحواشي والتعليقات .

ومنذ ذلك الوقت تطلعت المدارس الإسلامية العربية في الهند إلى تقليد ندوة العلماء في هذا المجال ، فنرى اليوم ما نراه من التركيز على تعليم اللغة العربية ، وفتح أقسام خاصة باللغة العربية ، وإقامة فصول للتدريب عليها من جميع النواحي ، وقد صدرت مجلات وصحف باللغة العربية ، وتوسع نطاقها وتكثفت الاهتمامات الكبيرة بتعليم اللغة العربية واستخدامها في شئون الحياة كلها في هذه البلاد ، ونرجو أن يتيسر الأكفاء من مدرسي اللغة العربية في الهند ويكون لتعليم اللغة العربية فيها مستقبل زاهر .

على كل، فهذه إطلالة على جهود العلماء المسلمين في مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ، ودراسة سريعة لمدارسها وجامعاتها التي تعتني بتعليم اللغة العربية، فإن هذه المدارس والجامعات رغم ضآلة إمكانياتها تبذل جهودا كثيرة في نشر وتعميم اللغة العربية في بلاد نائية عن الدول العربية ، إن دل هذا على شيئ فإنما يدل على حب العربية وآدابها ، وقد قال الثعالبي"" من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب

أحب العربية، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها".

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب.

مناهج التعليم والتربية وتأثيرها في تكوين المناخ الإسلامي :

لقد كانت المناهج الدراسية التي وضعها خبراء التعليم في المدارس والجامعات الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي والأقليات المسلمة ، مؤسسةً على هذا الأساس القويم ، ولدعم الغاية المتوخاة منها تم اختيار المواد والمقررات اللازمة التي تتكفل ببناء الشخصية الإسلامية وتأهيلها للقيادة والوصاية على العالم ، فكان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المصدرين الأساسيين في تشكيل هذه المناهج من غير زيادة أو نقص فيهما ، مهما كانت المصالح السياسية أو الاجتماعية تتطلب ذلك .

ولكن الحقائق الراهنة حول تغيير المناهج الدراسية والتعديل فيها تدل على ما تقرر من الاعتماد على أسس جديدة للتعديل فيها ، وتنفيذها فعلاً في المراكز التعليمية في العالم الإسلامي ، وموافقة لجان المناهج الدراسية فيه إخراج آيات ونصوص من الكتاب والسنة مما يتعلق باليهود والنصارى وآيات الجهاد وفضائله ، وحذف موضوع القتال ضد المشركين والفئات الباغية ، وصرف النظر عن كل ما يحفز على الجهاد في سبيل الله تعالى ، ويبعث على ترخيص النفس والمال في هذا السبيل ، وعلى رفع المعنوية وتوسعة أبعادها في حياة المسلم الذي يستطيع أن يمثل الإسلام عملياً في جميع شئون الحياة ، فردية وجماعية ، معاشية وعائلية ، وتعبدية وسلوكية ، من غير تقيد بالزمان والمكان .

إن الإقرار بهذه العملية التعديلية والاقتناع بها ، يرادف التنازل عن بعض الثوابت الإيمانية مع التمسك ببعض منها ،

الواقع الذي ينافي صحة إسلام المرء ، ويعني إسلام المصلحة والسياسة السائدة ، ويعني إسلاماً يدعو الدوران مع الظروف والأزمان ، إيماناً بمبدء " در مع الزمان حيثما دار " ، وهنا يتمثل أمامنا واقع فجر التاريخ الإسلامي في مكة المكرمة حيث كان عدد المسلمين لا يتجاوز أصابع اليد ، وكانوا معذبين مرهقين، يعيشون تحت القدر المتاح ، واثقين بأن هذا الإسلام سوف لا يخذلهم ، وسيأتيهم النصر من عند الله ، ولكن الظروف التي أحاطت بهم كانت بالغة من القسوة إلى آخر المدى ، وكانت مصلحة الدعوة تقتضي أن لا يتعرض المسلمون للكفار بدعوة ، أو بذم الوثنية وتشنيع الشرك ، أو يعيشوا في صموت يطلبون من الله الفرج والرحمة ، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يصدع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى التوحيد ، ورفض الشرك والوثنية من غير مبالاة بالعواقب في خضم الدعاة إلى الشرك والوثنيات ، والمتربصين على الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالدوائر ، وجاء الوحي يأمره بأن يخاطب الكفار ، ويصرح لهم بكل تأكيد بأنه لا يعبد الأصنام التي يعبدونها ، وإنما يعبد الله الواحد القهار ، نزلت سورة الكافرون تتحدى عُباد الأصنام والأوثان ، وتعلن لهم بكل صراحة بأن دين المسلمين ، ليس كدينهم الذي يزعمونه : (قُلْ يَاأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ) (سورة الكافرون : ١ - ٦) .

ليست هذه الآيات وحدها التي تعلن البراءة عن أي تنازل في دين الله وحده ، بل إن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يتحدثان عن عدم خيرة لفرد أو جماعة من أهل

العقيدة والإيمان أن يتناولوا أي أمر مما قضى الله فيه ورسوله صلى الله عليه وسلم بالخيرة ، بحسب ما يوحي إليهم من الظروف المختارة ، إذ لا خيار لأحد في قضاء الله تعالى أن يتصرف فيه ، بل القاعدة الكلية هي الخضوع أمام كل حكم، والاستسلام لكل أمر جاء من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولما كانت حياة المؤمن خاضعة لله تعالى ورسوله في جميع شئون الحياة والمجتمع ، دون أن تملك رصيداً من التصرف الذاتي فيها ، فأنى لها التنازل عن الأمور العقدية والتصرف فيها بالنقص والزيادة .

وما يطالب اليوم إزاء المناهج الإسلامية في الجامعات والمدارس في الدول المسلمة ، من تعديل ملحوظ بالتصرف في نصوص الكتاب والسنة ، وصوغها في ضوء التعليمات الجديدة الغربية ، فذلك يعارض تعاليم الإسلام الأساسية ، والحق أحق أن يقال : إن هذا التنازل عن " الأساس " يعني أن بناء الحضارة الإسلامية قائم على السطح من غير قاعدة متينة ، وأن أدنى هزة أو عاصفة تكفي لزعزعته ثم إتيانه على الأرض .

ثم إن مصدر أي تنازل في أمور الدين إنما هو ضعف الإيمان ، أو الإهمال بالعقيدة والثوابت الإيمانية ، وذلك ما يؤدي إلى عدم الاعتناء بالأمانة التي حملها الإنسان ، يوم عرضها الله تعالى على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الإنسان .

ولعل الاستهانة بمتطلبات العقيدة أو الرؤية المصلحية ، تمهد الطريق إلى حذف مجموعة من الآيات والسور من المصحف الشريف ، وصرف النظر عن أحكام وأوامر من الكتاب والسنة مما يعارض أهواء ومصالح الناس ومنافعهم العاجلة ، وتبرر

إعداد وإصدار طبعات مختصرة من كتاب الله ودواوين السنة ، فيسهل توزيعها في المدارس والجامعات الإسلامية لكي تكون أيسر للتدريس والتحفيظ ، وأوفق للمصالح الملحوظة .

والله سبحانه وتعالى يأمر ويقول :

(يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

دور مراكز التعليم والتربية في بناء الشخصية :

أقبل العالم على إنشاء مدارس العلم ونشر التعليم والتربية في المجتمعات البشرية ، وأصبح ذلك مهنة مشرفة للإنسان الواعي ، ونشأت طبقات من أهل العلم والمعرفة وخبراء التعليم والتربية قامت بترويج بضاعة العلوم والمعارف من كل نوع ، وتركزت اهتمامات الناس على إيجاد وسائل كافية توفر فرص العلم وتستقطب توجهات العامة والخاصة جميعاً إلى اكتساب العلم والاعتراف بأهميته ودوره في بناء الحضارة وتعيين مكانة الإنسان القيادية في هذا العالم ، وبالتالي بناء السيرة المثالية الإنسانية من النصح والإيثار والعدل والمواساة على أساس متين من تقوى الله سبحانه وتعالى : (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) .

لقد كان مشوار التعليم والتربية بمثابة عبادة يحتسب بها الناس في الأزمان السابقة ، وكانوا يعتبرونها طريقاً إلى الفضيلة والسعادة ، وذريعة لتوطيد العلاقات الشريفة بين الإنسان والإنسان وبينه وبين الله تعالى ، فقد كان كبار الرجال وأعلام التاريخ الإنساني نتيجة هذا التصور النزيه ، والفكرة السليمة للتعليم والتربية ، فإن التاريخ الإنساني يزخر بذكر هؤلاء الأعاظم والمثاليين ، وخاصة في مجال التعليم والتربية ، ممن

ضربوا أمثلة رائعة في تجميل التاريخ العلمي وتزيين صفحات العلوم والمعارف ، وتزويد المجتمعات البشرية بأغلى وأفضل زاد من الفضائل ، فشهد الإنسان في أمسه سباقاً في الحصول على مراتب عالية من العلم والعمل لخدمة الحياة الإنسانية ونشر الخير والفضيلة على أوسع نطاق وقمع الشر والرذائل من المجتمعات الإنسانية بكل ما أمكن ، من غير طمع في مال أو جاه أو منصب رسمي أو غير رسمي ، وذلك هوالباعث الحقيقي على إحراز مهنة التعليم والتربية أشمخ مكان ، والوصول إلى أعلى قمة من السيرة المثالية .

وعلى هذا الأساس الطبيعي كانت المناهج التعليمية توضع، ومع مراعاة البيئة والأجواء الاجتماعية ، والمستويات العقلية والفكرية لدى الشعوب والجماعات ، إلا أن الغرض الحقيقي من التعليم والتربية لم يكن يغيب عن أذهان المعنيين بصوغ المناهج ، وإنما كانت المنهجية هي الميزة البارزة لكل منهج تعليمي ، ولدى جميع الشعوب والجهات المسئولة عن التعليم في دول العالم شرقاً وغرباً ، وبهذا الطريق كانت العلاقات بجميع أنواعها تتوطد بين شعوب العالم ، سياسياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً ، وكانت تتحقق الثقة المتبادلة على المستوى العالمي ، ولم تكن وسائل التعليم والثقافة لإثارة الغرائز المضادة وإشفاء غليل الانتقام في حال ما ، ولا لكي يكون متاعاً يباع في الأسواق ، بضاعة تعرض للتسويق .

ولكن الذي يقضى منه العجب ، ولا يستسيغه العقل السليم ، أن إسرائيل المحتلة في الأرضي المقدسة وفي فلسطين بالذات ، اعتمدت مناهج تعليمية لأبنائها وشبابها تثير الكراهية والنفور الشديد في نفوسهم ضد العرب المسلمين ، وهي مثال

للعنصرية البغيضة التي قضي عليها بالزوال في عصر العلم والحضارة والإبداع ، ولكن إسرائيل تحتضنها وتضن بها ، وتتظاهر بها في كل مناسبة ، وقد قامت بعض الجهات الموثوق بها باستعراض كامل للمناهج التعليمية الإسرائيلية ، فأزاحت الستار عن بعض أسرارها الخطيرة ، ومنها : أن كل مولود إسرائيلي يُنفث في إحدى أذنيه أن اليهود هم الشعب المختار في العالم ، ويُلقى في الأذن الأخرى أن العرب هم أرذل خلق في العالم لا يعدون الديدان والخنافس ، فلا بد من قتلهم ، وعندما يأتي الطفل إلى المدرسة فيتعلم في الكتب المقررة فيها أن اليهود هم أفضل خلق الله ، وأن العرب أرذل وأنجس قوم ليس لهم مكان من العز والشرف ، فمن اللازم أن يستعبدوا ويؤخذوا كالعبيد ، وكلما تدرج الطفل في الدراسة تعلمه الكتب المقررة أن العرب هم قطاع الطريق وإرهابيون ، عائشون في الفساد ، فقد أصاب آباؤهم اليهود بأضرار وخسائر لا يمكن تلافيها ، ولذلك فإن الإساءة إليهم نوع من العبادة ، وهكذا : كلما مرت في كتب المناهج كلمة : " العرب " فهي تصفهم بالقراصنة ، وأنهم ليسوا أولاد الحلال ، وهم متعطشون كابراً عن كابر لدم اليهود .

بواسطة كتب المناهج يحثون أولادهم على تعلم الفنون الحربية لكي ينتقموا من العرب ، ومن ثم كانت العسكرية مادةً لازمةً لكل طالب بعد إتمامه الثانوية ، وبعدها يكون من اللازم أن يتلقى الطلاب والطالبات تربية عسكرية من خلال المدربين في الجنود الإسرائيليين ، وقد نشرت صحيفة : " انتر ناشيونال هيرالد تريبون " الصادرة من بريطانيا ، في عددها ١٨/ من ديسمبر ٢٠٠٤ م ، تقريراً استعراضياً لمناهج إسرائيل التعليمية ، يؤكد أن المناهج التعليمية الإسرائيلية خطيرة للغاية .

لقد قام الصحفي المسلم الباكستاني المعروف " قدرة الله شهاب " بجولة لإسرائيل متزيئاً بزي غير مسلم ، بواسطة منظمة يونيسيف التابعة للأمم المتحدة ، ونجح في الحصول على كتب المناهج الإسرائيلية التي تحتوي على مواد مضادة ، ضد العرب والمسلمين ، وقدمها إلى المسئولين عن الأمم المتحدة ولكنها وقعت فريسة الإهمال واللامبالاة لم تتمخض بشئ ، وأني تجد المشكلات الإنسانية التي لها علاقة بالمجتمع العربي والإسلامي اعتناءً بعد ما تقرر دولياً بأن مساعد الأمين العام للأمم المتحدة يكون إسرائيلياً بصورة دائمة ، ويدعى بوكيل الأمين العام .

وهل يجهل أحد من إخواننا العرب والمسلمين تلك الغارة الشعواء التي تُشن على مناهج المدارس والجامعات الإسلامية ، في الدول الإسلامية ودول الأقليات المسلمة ، ويؤمر بإدخال تعديلات فيها وفق متطلبات العصر ، فبثاً بكرامة الأمة ، وسخرية من الدين، واستهزءً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي من الجهالات التي قال عنها الشاعر العربي القديم :

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

الخاتمة

أيسر طريق للمحافظة على الشخصية الإسلامية :

يقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي :

"كان الصحابة رضي الله عنهم بدائيين ، وكانوا كأنهم في طفولة من الحضارة ومن المدارك العقلية ، ولكنهم استطاعوا أن يحتفظوا بشخصيتهم الإسلامية القوية إزاء هذه الحضارات ، وفي هذه المعارك الدقيقة ، وما فقدوا شيئاً من عاداتهم الإسلامية العربية وما ذابوا وما انصهروا في بوتقة المدنية القوية التي أصهرت عناصر كثيرة، ولم يحتفظوا بشخصيتهم الإسلامية العربية فحسب ، بل استطاعوا أن يحتفظوا بمدنيتهم العربية ، وبحضارتهم الإسلامية ، وبقوا على ذلك سبعة قرون إلى أن جاء المغول والتتار ، وذلك في القرن السادس الهجري ، وكانت هناك المدنية الإسلامية قائمة في بغداد وفي العراق ، وفي المملكة الإسلامية الممتدة إلى خراسان وتركستان ، وقد خضع التتار للإسلام بعد فترة قصيرة من الزمن للإسلام ، دعوةً وعقيدةً ، وللحضارة الإسلامية وآدابها وثقافتها .

أما نحن فقد ابتلينا بالمدنية الغربية مدة ستين سنة أو سبعين سنة أي بعد ما مضت الحرب الأولى وذلك في سنة ١٩١٨ م نحن ابتلينا بالحضارة الغربية مدة نصف قرن ، ولكننا لم نستطع أن نحافظ على حضارتنا الإسلامية .

إن علماءنا في الهند ظلوا يحثون أهل البلاد المسلمين على المحافظة على العادات الإسلامية الأصيلة العربية ، كما جاء ذلك في وصية حكيم الإسلام الإمام أحمد بن عبد الرحيم

الدهلوي من رجال القرن الثاني عشر ، يقول : حافظوا على عاداتكم الإسلامية العربية ، وظلموا متمسكين بالثقافة العربية شعراً ونثراً ، وصرفاً ونحواً وبلاغة وظلوا مرتبطين بالجزيرة العربية ، وظلوا متمسكين بحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، لا تضعفوا في ذلك ، إن سعادتنا منوطة باعتزائنا إلى الدين الإسلامي العربي واعتزائنا إلى العادات الإسلامية العربية ، وبحبنا الزائد بالمصطفى صلى الله عليه وسلم يجب أن لا تنقطع هذه الصلة ليوم من الأيام عن مركز هذا الدين" .

قارنوا أيها المستمعون الفارق والبون الشاسع بيننا وبين المسلمين القدامي ، إنهم واجهوا حضارة كانت أرقى من الخيال وواجهوا التنظيم السياسي والاداري الدقيق ، والقضايا المعقدة في إدارة المحن الكبيرة وفي حماية البلاد ، وفي قيادة الجيوش الجرارة ، ولكنهم بفضل الاعتزاز بالشخصية الإسلامية ، وبفضل الإيمان العميق ، وبفضل ثقتهم بتعاليم الإسلام استطاعوا أن يظلوا محتفظين بشخصيتهم الإسلامية ، بل بالشخصية القيادية العالمية ، وقطعوا قروناً على مدار التاريخ الطويل ، بقوا متمسكين بالإسلام لا يعدلون بالإسلام ديناً ، ولا يعدلون بالحضارة الإسلامية حضارة ، ولا يعدلون العربية بالثقافة ، ولا يعدلون بالمجتمع الإسلامي مجتمعاً نستطيع أن نتلقاه من معركة اليرموك ، فكانت المعركة الفكرية ، المعركة الحضارية المعنوية ، أكثر تعقداً وأكثر خطراً من معركة اليرموك .

فأقول لكم نحن في معركة حضارية ، ثقافية ، معنوية ، فكرية ، فعلينا أن نصمد أمام هذه الهجمات ، أمام التحديات المعاصرة ، والتحديات المدنية ، والتحديات الفكرية ،

والمسلمون بقوا سبعة قرون تقريباً ، محافظين على شخصيتهم وعلى مدنيتهم ، إذا دخل واحد في بيت مسلم رأي العادات العربية، البساطة والنظافة ، والتسهيلات للوضوء ، التسهيلات للاستحمام ، التسهيلات للاستنجاء وغير ذلك ، يأكلون بالبساطة جميعاً ، ولكننا نحن تغيرنا في ظرف سبعين سنة فقط هذا درس يجب أن نتلقاه ويجب أن نقارن بين حاضرنا وماضينا ، حاضر هذه الأمة وماضي هذه الأمة .[١]

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[١] . نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان للإمام الندوي: ص : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢

محتويات الكتاب

الباب الأول

الإسلام وبناء الإنسان

مكانة الإنسان في الإسلام ١٥
العناصر التي يتم بها بناء الإنسان بناءاً متكاملاً ١٧
وسائل الإسلام لإنجاح هذه العناصر ١٩
العقبات التي تقف في طريق بناء الإنسان ٢٠
ملامح عملية تثبت وجود هذه العقبات ٢٢
الأخطار التي تنجم عن تعريض الإنسان ٢٤
بعض الإشارات للانحراف الفكري ٢٦
سبيل العلاج ! ٣٠
دور الإسلام في تكوين الشخصية الإسلامية ٣١
الشخصية المثالية ٣٢
نظرة العلامة الندوي عن الشخصية الإسلامية ٣٢
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين نموذج ٣٣

الباب الثاني

مدارس الهند ودورها في بناء الشخصية الإسلامية

الهند: نسبتها وتسميتها ٣٨
الهند مهد للديانات والحضارات ٣٨
الهندوسية ٣٩
البوذية ٣٩
دخول المسلمين في الهند ٤٠
اللغات ٤١
اللغة العربية أهميتها وخصائصها ٤١

اللغة العربية لغة عالمية ، فلا تختص بشعب أو أمة خاصة ٤٢
أعلام اللغة العربية في الهند عبر العصور ٤٤
أبرز المدارس العربية في الهند : تعريف موجز ٤٦
تاريخ المدارس الإسلامية في الهند ٤٧
المدرسة الرحيمية ٤٨
دار العلوم ديوبند ٤٨
مدرسة مظاهر علوم ٥٠
ندوة العلماء ودار علومها ٥٠
مدرسة الإصلاح ٥١
الجامعة الرحمانية ٥٢
الجامعة الإسلامية بدابهيل ٥٢
الجامعة السلفية ٥٢
أسماء جامعات ومدارس مختلفة ٥٣

الباب الثالث

جامعات الهند العصرية واعتناؤها باللغة العربية

جامعة علي جراه الإسلامية ٥٥
الجامعة الملية الإسلامية بدهلي ٥٥
جامعة جواهر لال نهرو ٥٥
الجامعة العثمانية ٥٦
جامعة إيفل ٥٦
جامعة كيرالا ٥٧
جامعة بنارس الهندوسية ٥٧
جامعة دهلي ٥٨
جامعة كاليكوت ٥٨
جامعة لكناؤ ٥٨

جامعة خواجه معين الدين الجشتي الأردية ٥٩
جامعة ناكبور ٥٩
جامعة غوهاتي ٦٠
جامعة مولانا أبو الكلام آزاد الأردية القومية ٦٠
جامعة إله آباد ٦٠

الباب الرابع

مناهج تعليم اللغة العربية في الهند : نظرية وتطبيق

الدور الأول ٦٣
الدور الثاني ٦٣
الدور الثالث ٦٣
الدور الرابع ٦٤
منهج التعليم لدار العلوم ديوبند والمدارس التابعةلها ٦٥
ندوة العلماء وإصلاح المنهج التعليمي ٦٥
عناية ندوة العلماء بالعربية ٦٦
خطوة ثورية تقوم بها ندوة العلماء في مجال اللغة ٦٦
أدباء العرب في ندوة العلماء ومؤلفاتهم الشهيرة ٦٨
ندوة العلماء في مجال الصحافة العربية ٦٩
مجلة الضياء ٦٩
مجلة البعث الإسلامي في ندوة العلماء ، لكناؤ ٧٥
يقول أول رئيس تحرير المجلة ٧٦
صحيفة الرائد ٧٩
كلمة رئيس التحرير الأول وقت صدورها ٨٠
تعليم اللغة العربية في الهند: مشكلاتها وتطلعاتها ٨١
أهداف اللغة العربية ٨٢
وظيفة معلم اللغة العربية ٨٣

أساليب التعليم	٨٤
طريقة التعليم	٨٥
قواعد العربية في تعليم اللغة	٨٧
مشكلات في تعليم اللغة العربية	٨٨
صحوة جديدة نحو تعلم اللغة العربية	٨٩
ندوة العلماء ودورها في مجال تعليم اللغة العربية	٨٩
مناهج التعليم والتربية وتأثيرها في	٩١
دور مراكز التعليم والتربية في بناء الشخصية	٩٤
الخاتمة	٩٨
أيسر طريق للمحافظة على الشخصية الإسلامية	٩٨